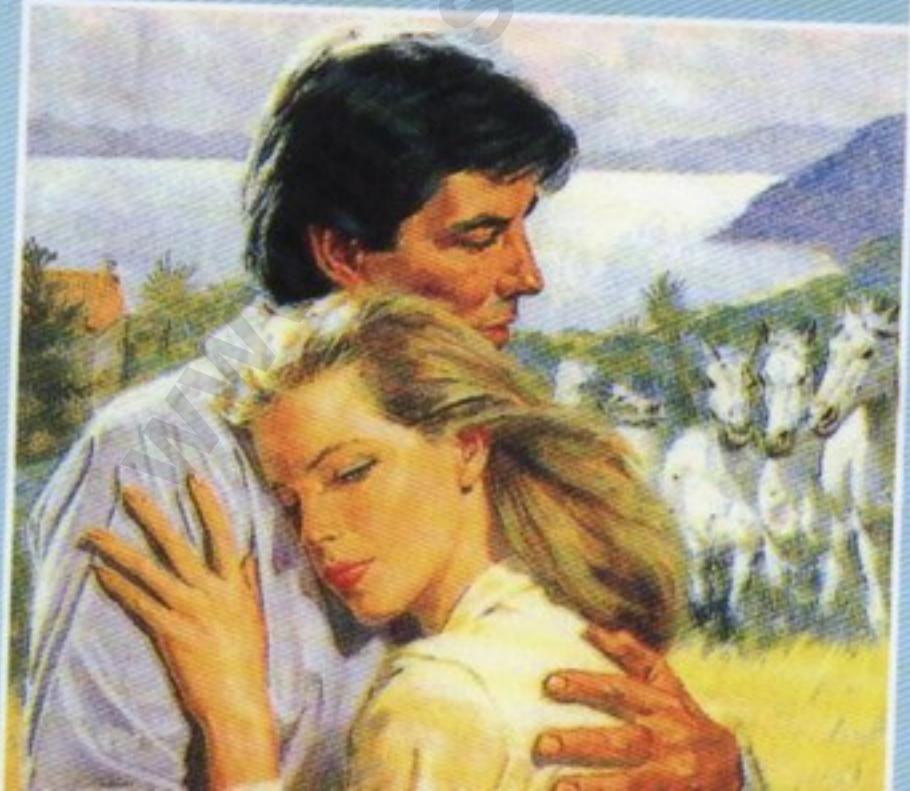


روايات احلام

Amal

غداً يعود الماضي



أنا أنتـكـ

فـدـا يـعـودـ الـماـضـيـ

الحب هو شخصان لا يمكن أن يعيشَا مفترقين. هو اكتشاف أن وحشة الوحدة انتهت وأنهما من الآن فصاعداً سيشاركان السعادة معاً.

حملها على حصانه الأسود إلى قصره بعد أن كانت ضائعة في خطر داهم. قال لها: «ادعُي أنك زوجتي ولك ما تثنين من مال»، والسبب امرأة كانت زوجته التي اختفت في ما مضى، والآن تريد العودة إلى عرش قلبه.

كانت ترى فيه عظمة الأيام. وفي كل ما يحيط به، في قصره القديم كالزمن، حالة تتسلل إليها وتعصف بقلبها.

هل تستطيع سبييل الرقيقة مواجهة العاصفة المتبعثة منه؟ وهل لها القدرة على مواجهة تلك المرأة النارية العائدة بعد غياب؟

ISBN 9953-15-160-1



لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١٥ دينار	مصر: ٧ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال

١ - فارس وفرس

أدانت سبييل مقود السيارة، فالتفت عند المنحنى بنعومة...
وفجأة اصطدم الإطار القريب منها بشيء ما... ولم تدر ب نفسها إلا وهي تتصارع مع مقود السيارة تجنباً للانزلاق فوق حافة الصخور بعد أن انفجر الإطار.

جلست في مكانها، مسندة رأسها إلى المقود، خافقه القلب
تكاد لا تصدق أنها لم تنزلق عن حافة الطريق الضيق، إلى الصخور
الضارب عندها الموج الأبيض، المرسل رذاذا من الماء اللامع.
تنفست الصعداء... عبر البحر كانت أشعة حمراء تنتشر متذرة
بمغيب الشمس، ودنو الليل. حدقت في المنظر... منظر حي
يمتزج فيه الأزرق والأخضر والثاري. باعثاً إليها سعادة لأنها بقيت
حية.

إنها الآن في قلب مقاطعة «الاند» في طريقها من بوردو على ساحل خليج كاسكونيا إلى «بيارييس»... وهذا كل ما تعرفه. فعندما غادرت العقبي الأخير الذي تناولت فيه الغداء، تركت، بكل غباء، خريطتها على الطاولة... فكان إن سارت لساعات بسيارتها على غير هدى، معتمدة على الحدس. فهي متوجهة لاستلام وظيفة سائقة ومرافقه لسيدة تدعى السيدة إيلارد، صديقة جدتها. فسبيل ييكويت الآن عاطلة عن العمل، ولكنها كمعظم البشر بحاجة إلى أن تطعم نفسها وتكتسو جسدها... وهكذا عندما حثتها الجدة أوديت،

قبلت بالوظيفة إلى أن تسع لها فرصة العودة إلى عملها كسكرتيرة. كانت الجدة أوديت تدعوها بالحالية، وسيبيل أول من يوافق على هذه التسمية فهي لم تذكر قط ميلها إلى الرومانسية بدل الواقعية. حتى ورطتها الحالية لا يمكن لها أن تفسد الجلال والسرور اللذان تحسهما الآن والشمس تنزلق خلف الأفق ناثرة لونها البرونزي على سطح مياه المحيط الأطلسي.

نارت حولها، فشاهدت الظلال المعتمة تبدأ بالزحف فوق الأراضي الريفية... قريباً سيحل الظلام... وما من جدوى من الجلوس هنا في سيارة معطلة، ليس فيها إطار إضافي... عندما تسللت من مقعدها، ونظرت إلى الإطار المعطوب، توضع لها أن لا أمل في تحريك السيارة... وعليها أن تهجرها لتعود إلى مكان تلجا فيه هذه الليلة... هناك منازل على الطريق وبما أنها ابنة ريف فهي تعرف أن أهل الريف يميلون للفيافة أكثر من أهل المدن.

تناولت سيبيل من السيارة سترتها الجلدية وحقبتها الصغيرة وانطلقت غير خائفة من الليل، فنشأتها في الريف جعلتها تعرف أن في الحقول أماناً أكثر مما هو موجود في شوارع المدينة. من حسن حظها أنها وجدت مشعلاً يعمل على البطارية... تبع الشعاع الرفيع ما لا يقل عن عشرين دقيقة. وكانت تحس برائحة البحر في أنفها، وتسمع المد وهو يضرب أقدام الصخور وأطراف الرمال على الشاطئ. فجأة برد الهواء إلى درجة الصقيع، فرفعت ياقه السترة حول عنقها، ومع ذلك فقد أحست بالارتجاف...

آه... كم سترحب الآن بكوب ساخن من الشاي أو القاهرة، وعدد ستديوشات من الجبن والمخلل... هل هذا ضوء؟

وقفت جامدة تحملق في العتمة فوق الجدار الصخري البدائي

الذي تسير إلى جانبه... ولمع الضوء ثانية من بعيد... فاندفعت متهرورة تصعد الجدار رامية الحقيقة خلفها ورغم علمها بأن مثل هذه الأماكن مليئة بالمستنقعات إلا أنها بدأت تسير عبر الحقول منجدبة إلى ذلك الوميض وسط العتمة.

أصبحت النجوم في كبد السماء متشرة، فلم تشعر سيبيل بالخوف من وجودها في أرض غريبة. وفجأة، أخذ المشتعل يرمش دلالة على دنو فراغ شحنة البطارية... بينما كانت تشعر بالاحباط، حركت الربيع شجرة عبر الحقل فشاهدت بوضوح حدود نافذة... نافذة مرتفعة بيساوية الشكل تشع بنور أصفر في الظلام. فتنفست الصعداء: شكر الله وأكملت طريقها عبر العشب المرتفع حتى ركبتها نحو الضوء.

إنه ضوء مبارك... يعد بكوب من شراب ساخن، يتضاعد البخار منه، وإن كانت محظوظة فستجد في هذا البيت هاتفاً تستطيع منه الاتصال بالسيدة ايلارد، لتعلمها بتعطل سيارتها وتأخير وصولها حتى الغد.

لكن الضوء في الليل قد يبدو قريباً، وهو في الواقع على مسافة بعيدة. سيبيل لم تخض في أرض ريفية منذ سنوات تعلمت خلالها فنون السكريتارية حيث عملت في عدة شركات صغيرة، لم تثبت في أي منها. أثناء السير أحست بعضة في ربلة ساقها شتد، فراحت تنقل حقبتها بقلق من يد إلى أخرى. منذ ان انطفأ المشتعل، بدأت تحس بالعزلة، ويايتعاد الأشجار عنها، تلك الأشجار التي تتلوى وكأنها سحرة يقumen بتعويذات: «يا شبح الغول لا تختراني»، بل اختر فتاة بدينة تأكل كثيراً، أغنية طالما ردتها مع رفيقاتها عندما كن صغيرات.

فجأة سمعت صوتاً لا يشبه صوت مدعاو أو أربب يقفز من بين العشب... عندها فقر قلبها من مكانه وهي تستدير مذهولة...

- هناك وظيفة يانتظاري.

- فلتنتظر... اعطي يدك، ودوسي على قدمي، وسأرفعك إلى
متن الحصان.

- معي حقيقة...

لم تخف من الحصان قدر خوفها من راكبه... إنه يجعلها
تحس بأنه أقسى من أن يكون لطيفاً. أعادت لها الذاكرة: «يا شبح
الغول...» ولكن صوته قطع عليها جبل أفكارها.

- خائفة مني؟ خائفة أن تكوني مشيت في معر الشيطان، كما
يقال في هذا الجزء من البلاد؟

- كي... كي... كيف أعرف أن ما ذكرته هو اسمك؟

- بطاقة اعتمادي ليست معي... وإذا أردت اجتياز المسافة حتى
البرج ماشية فافعل، ولكن «فرايس» سيوصلك في وقت أسرع،
وأنتصور أنك تتحرقين شوقاً إلى فنجان شاي.

- بل أكاد أموت لأحتسي هذا. ولكن ماذا عن حقيقتي؟

- ضعيها بين الشجيرات، وفي الصباح تأخذينها... لقد بدأ
«فرايس» ينوت، ولن يستسيغ حقيقة تتفز على ظهره.

عرفت أن رده منطقى، ولكن في الحقيقة حاجياتها الليلية. وإذا
كانت متقضى ليلة في البرج...؟

- هل سآخرين عادة كل هذا الوقت لاتخاذ قرار؟ (سألها
متوتاً).

- في الحقيقة حاجياتي.

- لا نقلقي على هذا. فمتزلي مليء بالحاجيات وأنا واثق أن
بولين يمكنها مدرك بما تحتاجين إليه.

تنفست سبييل الصعداء... بولين! فعلت ما قاله لها بالحقيقة
شم مدث يدها لدياغو روميلوس، وأحسست بقبضة أصابعه القوية على
يدها.

ترافق «فرايس» متراجعاً إلى جانبه، وهي تصعد فوقه، ثم
أحست بذراع قوية تشدتها بأمان إلى صدر عريض، وخلال لحظة
انطلق الحصان بهما قافزاً فوق العشب... وهي تحس بأن «الغول»
قد أمسك بها.
قال لها:

- لقد فقدت لسانك فجأة. هل تحسين أنك تمعنين جواداً مع
الشيطان الذي يقال إنه يركب جواداً أسوداً في عتمة ليل الحقول
والمستنقعات؟

منذ أن تركت سبييل مزرعة جدها، عاشت بين أشخاص
متعددين لبعين... ولكن هذا الرجل يبدو وكأنه قادم من زمن آخر.
إلا إذا كان ما يحيط به يجعله يبدو على هذا النحو.

- لقد اختطفتني عن الأرض بسرعة، ألم تفعل هذا سيد
روميلوس؟

- ولكن لهذا الرد تفسيران يا آنسة، فأيهما تريدين أن أفهم؟
- الصحيح! إذا كنت لا تمانع!

ارتجلت وهي تحس بذراع دياغو تشد حولها. وقال:
- لماذا بنات المدن نحيلات هكذا؟ لا لحم لهن، لا عجب أن
تشعرى بالبرد.

- لقد قلت لك سيد روميلوس، أنا لست فتاة مدينية حقاً.
- إذن لقد مضى عليك زمن طويل لم تأكلى فيه حلوى
التفاح... ما هو نوع عملك؟

- سكرتيرة!

- ظنتك ممثلة.

- شكراً لك... وهل تعرف الكثيرات منهن؟

- كنت أنظر إليهن دائمأ على أنهن متألقات.

- هل تؤمن بالقول للأسود أسود وللأبيض أبيض؟

صنع قالب حلوى شهي، وصنع فراش مريح... فماذا تفعلين...
هل تدخلرين نفسك لأمير الأحلام؟

- لا يهمني أن تعتبر أن الخير لفتاة أن تعطى وتنظف وتنجب.
فأنا لا أنوي أن أصبح عبدة رجل!

- وماذا إذا وقعت رأساً على عقب في الحب؟ فهذا يحدث للناس، غصباً عنهم، والنساء لسن مستثنات.

فودت سیل:

- أظن: الحب خافة.

فقال دياغو:

- يظهر أنني أوفقك الرأي، هذا إذا كنت تتكلمين عن الحب بين الجنسين . . . ولكن هناك نوع آخر من الحب يجبه مع ذلك النوع من الاتحاد . . . الذي تنسى بسجدة ابنه أو ابنته.

بينما كان يتفوه بتلك الكلمات وصلا إلى أبواب «برج روميلوس» الحديدية التي تشق ليبين منها الحقول الواسعة الممتدة على مدى البصر. سار بهما الحصان تحت مصابيح معلقة بالجدار نحو قناء ذي أعمدة ترتفع أمام الأبراج.

إن الضوء الذي شاهدته سبييل جاء دون ريب من الفتاء الخلفي
للمتزل فواجهة المتزل رحيبة، لا كما توقعتها أبداً. قال لها دياغوف:

- تمكّن بقائمه

ففعلت وانزلق عن السرج، ثم مد ذراعيه استعداداً للتلقّيها بينهما
عندما تنزل... لم تقابل سبييل من قبل رجلاً ضخماً، فيه قارة
كهذه التي تراها.

- تعالى !

لهجة الأمر جعلتها تتصلب... إنه سيد معتاد على اعطاء الأوامر. القانون، والأرض، جعلاه السيد، ولكن سبيل أحياناً يعيل إلى أن تعصي أوامره... فقالت:

- أظنهما الطريقة الفضلى . . . هل أنت معتادة على رجال يكذبون
عليك ليوصلوك إلى حيث شاؤوا؟

الاحمرار أصبح لهيباً... وفجأة أحست بملامسة جده، يا له من متعجرف! إنه من الرجال الواثقين المعتدين بأنفسهم الذين لا يحتاجون إلى الكذب أو لالقاء السحر ليحصلوا على ما يريدون.
تابع ساخراً بعد سكوتها:

- لا تقولي لي إن فتاة المدينة غير معتادة على الصراحة؟ كنت أظن الناس هناك لا يضيئون وقتاً لقلب المدينة إلى بابل أخرى حديثة.

- جزء من المدينة يصبح هكذا... ولكنني أنظر إلى عملي بحدبة بعيداً عن الله الذي لا أستغفه.

- انسة محتشمة و حادة هه؟ ما اسمك؟

- سکه بت بنادیت احمد قاتل اسا

-**ألا تشهدون أننا قد نصّر ملائكة**

فـ: غـ: الـ: كـ: لـ: كـ: الشـ:

لأنه في المقدمة ... أليس كذلك؟

- و يُعرف الماء ما هو حبه سيل . صوه في نادئي لفت بطرى واستهواك . . . وستامين تحت سقفه . . . أليس كذلك .

-سبعين بنت واحدة... فارجرو ان لا ينبع روجنك في

دلي دوي سابق إندار.

- روجتي؟ مادا تعرفين عن... روجتي؟

- لا شيء . لقد ذكرت منذ برهة أن اسمها بولين .
- بولين هي مديرة متزلي التي تبلغ الستين من العمر . فهل أبدو عذراً هكذا؟

احسنت بالاضطراب لمعافته:

وأنت كذلك أيتها الشابة. الفتيات هنا يتزوجن حالما يتعلمن

دياغو روميلوس عنه.
قال بخشونة:

- أنت تریدين العشاء... اتبعيني سيل... هذا إذا كنت لا
تشرين بوهن في ركبتك.

• • •

٢ - لا شيطان في الزوايا

رمشت عيناً سبيلاً وهي تدخل ردهة برج روميلوس... إنه عالم آخر، عالم لم تزره من قبل... ارتفع نظرها إلى الأعلى... إلى القنادر الخشبية المعتمة التي غيرها الزمن... فرأت مصابيح كبيرة معلقة بسلاسل، تضيء الفسحات الخشبية غير العادية في الردهة.

وعندما استوضحته عنها قال لها:

- إنها مهاجع الرهبان. والزجاج المغشى المرسوم في هذه التوافذ جيء به من إيطاليا، خلال الحروب الدينية بين الكاثوليك والجزويت. أليست قطعاً فنية رائعة؟ هذا «ابو ليناريس» بسيفه وغرابيه الأسود... وهذا اوغستين يحمل قلبه الملتهب... وهناك «بلايس» يحمل الرمح الحديدي المثلث الذي صلب عليه... لقد عانى دائمًا من الاضطهاد... أم أنه لا تعرفين تاريخهم؟

هزت سبيلاً رأسها بالثني وحملقت إلى سلسلة التوافذ الزجاجية المرسومة الملونة الغرطية الطراز التي تحمل صور القديسين... وأشار دياغو إلى رسم شخص ونجمة تتوسط جبهته.

- قدسي المفضل هو «دومينيك» المؤسس الإسباني للرهبنة الدومينكانية. ولطالما كان هناك دومينكانين في عائلتي منذ أست... وهذا كان منذ زمن بعيد جداً.

التفت إليه سبيلاً، فقد لفت انتباها لهجته الكثيبة. كان على

وجهه تحت المصايبع المعلقة من الأعمدة الخشبية في السقف،
نظرة تفكير ماسكة، يرافقها لمحنة من خيبة أمل تبرز في الخطوط
المحيطة بوجهه:

- التوافد صممت بترتيب يجعل صور القديسين تلتقط شمس الغروب... منظرهم رائم. وكأنهم يستحملون باللهم. كما حصل لبعضهم جزاء إيمانهم، وأملهم، ومحبتهم لبني البشر.

فتمت:

- أرواح معلبة.

- بالضبط... ولكن لنأمل أن لا تتأثرني كثيراً بهذه المشاعر... وهي ليست مشاعر يسهل العيش معها.

- وهل تعيش أنت معها؟

شيء ما برق في عينيه، فأسود وجهه واجفلت منه... وهو يرد بحدة.

- أنا... أنا آسفة... لم أقصد الفظاظة خاصة بعد لطفك وتقديريك لي العشاء والفراش الليلة.

- أو... أو... أجل... الأفضل أن أهتم براحتك.

تقدما إلى مدفعاً قديمة الطراز وشد على شريط قماش عريض يتذليل إلى جانبها ليقع الجرس.

الغرفة زاخرة بالنقوش والتماثيل، ورائحة الحطب المحروق، ويلمعان فولاذ أسلحة قديمة معلقة على الجدران. كل ما يحيط بها أشعّرها بأنها في مكان عتيق أثري، ولكن رغم ذلك يبدو كل شيء مرتبناً نظيفاً من جراء انصباع الخدم لمعطالب السيد المتطلب.

مد يده إلى صندوق منقوش فوق حافة المدفع، وخرج منه سيكاراً طويلاً ورقيقاً وقال لها:

- تبدين كقطة دخلت إلى منزل رائحته وجده جعلها تجفل.
انحنى فوق النار والتقط عود حطب مشتعل وقدمه نحو

السيكار... راقت سبييل بذهول وصمت لمعان النار في الإطار الذهبي لعيته البنيتين. والتقت عيناه بعينيها:
- عيناك خضراء وآن كعبني قطة.

- وماذا يقول أهل الزيف المؤمنون بالخرافات عن عينيك؟
لقد تمادت الان فعلأً بوقاحتها... ولكنها لا تسوي الاعتذار... فلديها إحساس بأنه كان خيراً لها لو تركها في الحقول حيث سيكون المبيت بين زهر الخليج البري آمن من النوم تحت سقف بيته المخيف.

سحب انفاساً من سيكاره، فتصاعد الدخان ملتوياً من بين شفتّيه وهو يقول:

- هناك أسطورة... تقول إن أحد السحراء أغرى فتاة من عائلتي وأنجبت طفلًا ذهبي العينين، كعبني، وهم عينان توارثهما العائلة منذ القدم، والأسطورة تقول إن كل ذكر في عائلتنا له شعر أسود يجب أن يحمل عيني الساحر... هل أنت خائفة من أن ألقى بتعويذة سحرية عليك؟

- لست مراهقة لأصدق هذه الخرافات.

قالت هذا بشجاعة ظاهرة، ولكن نظرته أرسلت قشعريرة غريبة إلى جسدها وصلت إلى أعصاب معدتها.

- هل هذه الرحلة الأولى التي تقومين بها إلى ريفنا؟

- لقد سمعت قصصاً عنه من جدتي، فلديها صديقة في بياريس تقيم معها بين وقت وآخر. إنها السيدة التي اتجه للعمل لديها... هل لديك هاتف سيد روميلوس؟ يجب أن أبلغها أنني لن أصل قبل الغد.

- لدى هاتف، ولكن أرجو أن تؤجلني مخابرتك. هل تمانعين؟

- هل سيرث فيك اعتراضي؟

ارتفاعت يدها إلى حدود الحسان الذهبية الصغيرة المتتدلة من

سلسلة تلامس بشرة رقبتها. فأجاب ببرود:

- لا، لن يؤثر أبداً.

- أنت وجل متعرجف جداً... أليس كذلك؟

نطقت كلماتها بحذر.

- الإنسان آنسة بيكون هو ما يجعله قدره وحظه... لقد رمى القدر حُجراً حاداً في طريق إطار سيارتك، وبما أن تلك الطريق طريق خطرة يمكنك اعتبار نفسك محظوظة للبقاء حية. لقد حصلت كارثة لسائق دراجة منذ أسبوعين على نفس المنحني، فقد كان يقودها كمن يشارك في سباق... هل كنت مسرعة؟

- ليس كثيراً...

- ولكن مستعجلة... هه؟ الشمس كانت تغيب وترى دينز الوصول إلى بيارتيس قبل حلول الليل. أعتقد أنه لولا رؤيتك نوراً في هذا المتر للازتمت الطريق التي ستوصلك إلى قرية صغيرة.

حسبت سبيل أنفاسها... كلمة قرية تعني نزلأ صغيراً دافناً... قد يربح بها... وهذا لا ينطبق على برج روميلوس، المخيف كسيده، الذي يعطيها انطباعاً بأنها خطت من العالم الحديث نحو عالم أصحابه لا يسألون عن تصرفاتهم.

مررت عيناه على طول وعرض دياغو روميلوس، فأدركت ثانية أن أمثاله من الرجال أصبحوا نادرين كالنمور.

قالت له:

- وهذا يثبت أننا جميعاً نرتكب الأخطاء ثم نندم عليها.

فبرقت عيناه ثانية:

- لا شك في هذا. فنحن نرتكب أخطاء، نعيش جحيناً حتى نصلحها.

- حتى أنت سيد روميلوس؟

- حتى أنا... آنسة.

- ما أشد ذهولي بقولك هذا فأنت قوي قاسي!

- صحيح... ما من أحد هنا يحب أن يفضل... على الأقل أنت لم تقعي في المستنقع.

حملقت فيه مذهولة، فأشاح وجهه إلى النار حيث بدا شكله الأسود غامضاً في لهيب النار الحمراء. أردف:
إنها منطقة فيها وحول متحركة وحيوانات كثيرة تسرح فيها كالمائية. وهذا المستنقع في أرضي، وهناك لائحة تحذير ولكن فتاة تسير في الظلام لن تتبه إليها... لقد خاطرت بترك الطريق... أليس كذلك؟

أحسست سبييل برجفة باردة:

- أجل... لقد فكرت أنه قد يكون هنا مستنقعات. ولتكننا لا نفكّر أبداً في أن شيئاً قد يحدث لنا.

فقال متوجهماً:

- القدر هو من يحرك الشطرنج، وما نحن سوى أحجار اللعبة. فلو سرت إلى ذلك المستنقع المتحرك، لاختفيت عن الأرض... مثل أسطورة اورفيوس الذي انجرف وراء زوجته إلى عالم الأموات. التفت إليها ليواجهها، ولمعان السخرية الحرجية في عينيه... وأكمل:

- هل تشعرين في متزلي وكأنما سيد الظلمات قد استولى عليك؟
أنا... أنا أرفض أن... أكون خيالية... لن أبقى هنا سوى ليلة واحدة... ففي الصباح سأرحل.

ولكته نظر إلى المرأة الواقفة ورآها قاتلاً:
ـ بولين... هل تسمحين بالاهتمام بهذه الشابة. قدمي لها فراشاً مريحاً وبعض الطعام... لقد التقيت بها في الحقول... حيث تعطلت سيارتها.

ثم أعاد اهتمامه إلى سبييل:

- ما احتاج إليه فنجان شاي ساخن.
- مستحصلين عليه أنسة. حالما تستريحين في الغرفة... أليس معك حاجياتك، لو جاز لي أن أسألك؟
- كان معي حقيبة. ولكن السيد جعلني أتركها في الدغل. فقد نقلتني معه على صهرة جراده.
- فهزت المديرة رأسها وكأنما تؤكّد أن هذا ما قد يفعله.
- كنا نتوقع وصولك، ولكننا لم نكن متأكدين من موعد الوصول... أنت على الرحب والسعة هنا يا أنسة.
- حملقت فيها سبييل بذهول... فتابعت المديرة:
- لقد حدث تغييراً كبيراً فيه منذ عاد من رحلته... ولم يقل شيئاً محدداً، ولكنه حضرت الجناح في البرج، وتركه يأخذ حاجته من الهواء خلال الأسبوعين المنصرمين. أعرف السيد، صدقيني، أعرف متى يكون قلقاً، فأنا جزءٌ من هذه العائلة منذ وقت طوبل أنسة!
- هذا الكلام الأخير صدقته سبييل، ولكن ما تبقى مما قيل لم يكن له معنى.
- التفت المرأة نحو سبييل عند أسفل سلم ضيق يوصل، كما يبدو إلى جناح البرج الذي أشارت إليه، وتابعت:
- كما قلت لك، كان السيد يلمع إلى زائره، ولكنه لم يوضح حالما وضع قدمه في المترزل بعد الرحلة، لاحظت تغييراً فيه. وقلت لنفسي إنه لا بد التقى بمن شغل باله، ثم وصلته رسالة من باريس، ولم يعد لدى أي شك أن أحداً ما سيجيء زائراً.وها أنت أنسة.
- نظرت سبييل إليها مسمرة:
- ولكنني... .
- أعرف أنه يحب الأسرار... ولكن لن يتمكن من إيقائك سراً وقتاً طويلاً... .
- مدبرة مترزل ستهم بمطالبك... يبدو عليك التعب، لذا اقترح أن تتناولِي عشاءك في السرير.
- لم تستطع إبعاد الشك عن نظراتها إليه:
- شكراً لك... أنت لطيف... ولكن بشأن الاتصال هاتفياً بيارتيس؟
- مسكها بحزم من مرفقها... وقادها إلى أسفل السلم الخشبي الأسود قائلاً:
- لا داعي للعجلة.
- انقضت إليها مدبرة المترزل... التي كانت تسير بخطوات صارمة، ترتدي ثوباً أسود، وتحمل مفاتيح مشبوبة في حزامها. نظرت العجوز إلى سبييل دون أن تخفي فضولها. فبدت غريبة تماماً كرب المترزل، بل بين هذين النموذجين شعرت سبييل بأنها الغريبة بشعرها الأشقر وبشرتها الزهرية.
- لا شك في أنهما معاً... من أصل إسباني أو يحملان الدم الإسباني.
- من هنا أرجوك أنسة.
- صلصلت المفاتيح عندما كانت مدبرة المترزل تديرها... فتبعتها سبييل وهي تواقة لخلع حذائتها من التعب ولتناول العشاء قرب دفة النار.
- اتجهتا إلى رواق فوق درج مليء بلوحات لوجوه من العائلة... . وحاولت سبييل أن لا تشعر بأنها ذاهبة إلى برج ليس فيه إلا مقصلة أو سجن. ما هذا الهراء الخرافي الذي تفكّر فيه؟ ولكنه مترزل يقود الإنسان على غير إرادة منه إلى الخيال فهي مهما حاولت لن تستطيع تحرير نفسها من الإحساس بأن بولين بمقاتلتها وثوبها الأسود وشعرها الرمادي المعقوض، تشبه السجana.
- هل أنت بخير أنسة... تبدين مضطربة وشاحنة؟

أحسست سبييل بشيء يمنعها من تقديم شرح وإن كان بسيطاً لهذه المرأة التي أرددت قائلة:

- الأنسة باتروسا فهمت أن هناك ما يحتفظ به لنفسه لذا سافرت للإقامة مع أصدقائها في بوردو.

- باتروسا يا للاسم المثير!

أجبات المرأة:

- هي شقيقته أنسة!

- أوه... أجل... شقيقته.

- كل ما أنت بحاجة إليه هو طعام شهي ساخن.

ودفعتها إلى السلم الضيق نحو باب دفعته بمرح.

- استريحي أنسة، بينما أهيني لك عشامك وملابس للنوم
هـ... كيف رمت حقيبتك في الدغل؟ يجب أن تأخذ بعين الاعتبار
أنه لم يهتم منذ سنوات طويلة بسيدة شابة.
ترجعت إلى الخلف لتراقب سبييل:

- أنت فتاة جميلة.

وعادت نحو الباب، وحين كانت على وشك أن تغلق نادتها
سبيل:

- بولين!

- نعم أنسة؟

- الغرفة هنا ذاتية.

- في الغرفة الذاتية لا يجد الشيطان زوايا يختبئ فيها.
أغلقت الباب خلفها. فأحسست سبييل بهذه البرج يطبق
عليها... فайнما وجهت أنظارها كان يبدو أمامها رجل أسود الشعر.
كانت ألسنة لهيب صغيرة زرقاء الأطراف تتعالى من الحطب المتقد
في المدفأة... جلست سبييل تراقبها وهي ملتفة بروب سميك يصل
إلى أصابع قدميها، وهذا دليل على أن الفتاة التي كانت تستخدمه

أطول منها بكثير.

على الطاولة قرب الكرسي، صينية عليها أطباق تتبع منها رائحة شهية. ولكن سبييل فضلت أولاً احتساء الشاي قبل تناول الطعام والتفكير في الوضع الغريب الذي وجدت نفسها فيه.

سبيل لم تتم في مثل هذه الغرفة في حياتها... الحمام يقع في مكان كان دون شك في ما مفس غرفة أسلحة «إنه ليس منزلًا بالمعنى المعروف» كما قالت بولين «بل هو أشبه بقلعة تعدد مقاراً لعائلة روميلوس منذ زمن. إنه المكان الذي يدافع عنه رجال الروميلاوس بأرواحهم ثلاثة يقع في يد غريب».

سألتها سبييل:

- أوليس متزوجاً؟

ولكن ما من رجل متزوج يستقبل أنتي في منزله. أجبتها بولين:
- لم يتزوج السيد روميلوس لنفسه زوجة قط. وأنت تعرفين السبب.

حاولت سبييل أن تستكشف معلومات أكثر، ولكنها لسبب ما لم تكن راغبة في البرح أنها ليست «فتاة» السيد دياغور.

أحسست سبييل بالغضب من نفسها لأنها تصرفت على هذا النحو مع المرأة... تفحصت الأطباق المقططة، فاكتشفت فيها يخنة الفطر بالأرانب، وفطيرة تفوح منها رائحة التفاح، وكوبا من الحليب.

تنهدت بارياد وهي تأكل فقد مضى عليها زمن لم تستذد فيه بمذاق طعام شهي... كهذا... لم تمر دقائق قصيرة حتى نظرت الطبق، وبدأت تأكل الفطيرة وشرب الحليب. عندما انتهت، أنسندت ظهرها إلى المبعد، وقررت أنها كانت محظوظة لأن دياغور وجدتها في الحقول، فهو مضيف مضياف، غامض قليلاً. مدت قدميها نحو دفعه النار، واحسست براحة من يسترخي بعد الارهاق والترتر والجرع.

لِيَقْفُ، مُسْنَدًا ظَهِيرَه إِلَيْهَا، وَوَجْهُه إِلَى نَاحِيَتِهَا... يَا إِلَهِي مَا أَخْسِمُه وَمَا أَشَدُ اسْعَارَهِ... إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يُشَبِّهُ رِيعَ الْمُسْتَقْعَدَاتِ الْهُوَجَاءَ، الَّتِي تُطْبِعُ بِالنَّاسِ عَنِ الْأَرْضِ. وَيُسَبِّبُ عِيشَهُ الدَّائِمِ فِي الْبَرَارِيِّ الْمُوْحَشَّةِ يَبْدُو أَنَّ لَهُ قُوَّةً غَيْرَ مَقِيدَةٍ أَوْ أَيْفَةً... إِنَّهُ رَجُلٌ ذُو مَرْكَزٍ يُسْمِعُ لَهُ بِتِفْنِيدٍ مَا يُرِيدُ سَاعَةً يَشَاءُ.

اَحْتَسَتْ قَلِيلًا مِنَ الْقَهْوَةِ، وَظَهَرَ عَلَيْهَا الْأَرْتِيَاحُ.

- جِيلَةٌ هَهُ؟ إِنَّهَا إِسْبَانِيَّةُ الْمَذَاقِ وَالصَّنْعُ فَهِيُّ مُسْتَوْرَدَةٌ مُباشِرَةٌ مِنْ هَنَاكَ.

- مُمْتَازَةٌ... أَنَا وَاثِقَةٌ مِنْ قَدْرِكَ عَلَى الْحُصُولِ عَلَى الْأَفْضَلِ دَائِمًا.

- الْمُشَكَّلَةُ أَنَّكَ لَا تُسْتَطِعُنِي دَائِمًا الْحُكْمَ عَلَى إِلَّا إِنْسَانٍ مِنْ خَلْلِ مَظَاهِرِهِ.

- وَهُلْ تَحَاوَلُ الْحُكْمَ عَلَيَّ مِنْ خَلْلِ مَظَاهِرِيِّ سِيدِ رُومِيلُوسَ.

- وَمَا الَّذِي دَفَعَكَ إِلَى هَذَا السُّؤَالِ؟
فَهَزَّتْ كَتْفَيْهَا.

- لَكَ نَظَرَةٌ حَادَةٌ تُشَبِّهُ نَظَرَةَ الصَّقْرِ الْمُسْتَعْدِ لِللانْقِصَاصِ.

- وَهُلْ تَعْتَبِرِينَ نَفْسِكَ فَرِيسَةً أَوْ شَكَّ أَنْ أَنْقُضَ عَلَيْهَا؟
فَسَحَّكَ ضَحْكَةً قَصِيرَةً ثُمَّ أَرْدَفَ:

- أَنْظُرْنِي إِنِّي أَتَمْلِكُ إِلَّا لِأَخْفَفُ مِنْ دَفَاعَاتِكَ ثُمَّ أَحْمِلُكَ وَأَطْبِرُكَ إِلَى سَرِيرِ ذِي قَوَافِنِ أَرْبِعَةٍ لِأَحْصِلُ مِنْكَ عَلَى مَا أُرِيدُ حَتَّى يَتَسَلَّلَ ضَوءُ الصَّبَحِ عَبْرِ النَّوَافِذِ؟ يَا عَزِيزَتِي الشَّابَةُ، لَدِيكَ مَخِيلَةٌ خَصْبَةٌ، هَذَا دُونَ ذِكْرِ بَعْضِ الْغَرَوْرِ... لِمَاذَا تَسْتَهْوِيَنِي بِحَقِّ الشَّيْطَانِ؟

فَاحْتَرَقَتْ وَجْتِيَّهَا حَرْجاً:

- أَنَا لَمْ أَفْكُرْ مُطلَقاً...

سَخَرَتْ مِنْهَا عَيْنَاهُ وَقَاطَعَهَا:

كَانَ رَأْسَهَا مُتَدَلِّيًّا عَلَى صِدْرِهَا شَبَهَ نَائِمَةٍ عِنْدَمَا لَامْسَتْهَا يَدُ أَيْقَظَتْهَا... فَرَفَعَتْ بِعَصْرِهَا نَعْسَ، لِتَشَاهِدَ عَيْنَاهُ مُضِيقَاهَا الشَّبِيهَيْنِ بَعْنَيْ صَقْرٍ. «أَوْهُ» اسْتَوَتْ فِي جَلْسَتِهَا، وَجَمَعَتِ الْرُّوبَ حَوْلَهَا.

- هَلْ أَجْفَلْتَكَ؟ أَرِي أَنْكَ تَنَاوَلْتَ عَشَاءَ فَانِّراً.

وَاحْسَتْ بِحَرَارةِ وَجْتِيَّهَا.

- إِنَّهُ مُمْتَازٌ... شَكْرَا لَكَ.

تَسَاءَلَتْ بِرِبِّيَّةٍ، مَاذَا يُرِيدُ؟ كَانَ قَدْ سَحَبَ يَدَهُ عَنْ كَفَاهَا، وَلَكِنْ أَثَرَ لَمْسَهَا مَا زَالَ بِأَقِيَّاً، وَقَفَ فَرِيقَهَا تَعَامِلَةً فَاحْسَتْ بِالْفَسَيْعِ وَالْعَجَزِ فِي مَقْعِدِهَا الْعَمِيقِ أَمَامِ عَيْنَيْهِ الَّتِيْنِ طَفَقَتَا تَأَمَّلَانِهَا.

- أَرِي أَنْ بُولِينَ دَلَّتِكَ. تَبَدَّيْنَ ضَائِعَةَ فِي هَذَا الْرُّوبِ.

- قَالَتْ إِنَّهُ لِشَقِيقَتِكَ... لَا بُدَّ إِنَّهَا طَوِيلَةُ مَثَلِكَ، سِيدِ رُومِيلُوسَ.

- اِجْلِ إِنَّهَا مِنْ دَمِ إِسْبَانِيِّ كَمَا يَدْلِلُ اسْمَهَا: بَاتِرُوْسَا. وَهِيَ ذَاتُ شَعْرٍ أَسْوَدٍ طَرِيلٍ يَصْلُ إِلَى كَعْبَيْهَا، وَهِيَ تَرْكِبُ الْخَيُولَ الْبَرِّيَّةِ مِنْذُ طَفُولَتِهَا. وَهَذَا النَّوعُ مِنَ النَّشَاطِ يَجْعَلُ الْفَتَاهَةَ رِيَاضِيَّةً. وَهِيَ إِلَى ذَلِكَ سَبَاحَةُ كَالشَّيْطَانِ... نَحْنُ لَا نَبْعَدُ أَكْثَرَ مِنْ كِيلُومِترَ عنِ الْبَحْرِ، مَعَ أَنْ مَوْقِعَ الْمَتَزَلِ يَبْدُو فِي الْبَرَارِيِّ. أَرْضِي تَمَتدُّ مِئَةً مِتْرَ دَاخِلَ الْخَلِيجِ الإِسْبَانِيِّ.

- تَتَكَلَّمُ كَرْجُلٌ يَفْتَخِرُ بِأَمْلَاكِهِ.

الْتَفَتَ إِلَيْهِ فَرَأَتْ أَنَّهُ أَحْضَرَ مَعَهُ إِبْرِيقَ قَهْوَةً وَفَنْجَانِيْنِ. وَقَالَ:
- لَقَدْ فَكَرْتُ أَنَّكَ قَدْ تَوَدَّيْنَ بَعْضَ الْقَهْوَةِ... مِنْ عَادِتِي أَنْ أَتَنَاوِلَهَا فِي هَذَا الرَّوْقَتِ. هَلْ تَنْضَمِّي إِلَيْ سِيَّلِ؟

- مَا دَمْتُ مَصْرَأً، أَجْلِ.

- أَنَا لَا أَمْسِرُ عَلَى شَيْءٍ، فَلَنْ أَجْبَرَكَ عَلَى شَيْءٍ... سِيَّلِ.

- شَكْرَا لَكَ.

تَنَاوَلَتْ فَنْجَانَ الْقَهْوَةِ، وَابْتَلَعَتْهُ بِنَظَرَاتِهَا وَهُوَ يَتَحرَّكُ إِلَى المَدْفَأَةِ

وفكاً قوياً... فيه مظهر كثيب، وكأنه ضائع في أفكاره.
ووجدت نفسها تتساءل عن عمره... ليس في رأسه شعرة رمادية
واحدة، ومع ذلك فهو يبدو في الأربعين... إنه فعلاً يثير حيرتها،
ويجعلها تأخذ حذرها وتلتجأ إلى الدفاعات الغريزية. إن في
شراسته، دون ريب دفء إسبانيا قوياً، يمتزج بالفحة شديدة مع هذه
البراري، وفيه أيضاً نزعة عاطفية متوجهة.

دياغو روميلوس... يا لهذا الاسم الغريب!
قال لها أخيراً وهو يواجه النار:
ـ سأطلب منك شيئاً قد ترفضينه... وأتوقع أن تقفز لي محاولة
خنقني لأجله... ولكن من الفضولي أن تعطيوني عليه ردًا
صريحًا... هل تعطيوني وعداً؟
ـ ليس قبل أن أسمع الطلب.

ـ هل تحببين أحدًا؟
أحست بأنفاسها تعلق في حنجرتها.
ـ لا شأن لك بحياتي... لماذا يهمك أن تعرف?
فاستدار عن النار ليواجهها:
ـ لأنني بحاجة إليك للادعاء بأنك تحببتي...
• • •

ـ ألم تفكري؟ بل أن هذا ما فكرت فيه منذ التقينا... مذاك
الحين وأنت تتساءلين عما أريده منك.

نظرت إليه فأسرتها عيناه فلم تستطع إنكار ما قاله:
ـ مدبرة منزلك قالت لي شيئاً غريباً... يبدو أنها تخلط بيني
وبيـن فتـاة أخـرى كـنت تـوقـعـها.
فضـاقت عـينـاه بـوجهـها:

ـ كان بإمكانك تصحيح هذا الخطأ، فلماذا امتنعت؟ أعلم أنك
لم تصحيحي غلطتها لأنها عندما جاءت تخبرني إنك مرتابة أشارت
إليـك علىـ أـنـك «ـفتـاتـيـ» الشـابـةـ.

ـ أـجلـ. هـذاـ ماـ كـانـتـ تـنـادـيـ بيـهـ...
ـ كـنـتـ تـسـطـيعـيـ إنـكـارـ ذـلـكـ... لـكـنـكـ لمـ تـحـاـولـيـ الإنـكـارـ وـهـذـاـ
ماـ أـدـهـشـنـيـ.

ـ أـظـنـتـ كـنـتـ تـعـبـةـ جـداـ فـلـمـ أـهـمـ لـلـأـمـرـ. فـلـمـاـ لـمـ تـصـحـحـ
خطـأـهـاـ أـنـتـ؟

ـ لأنـهـ يـنـاسـيـ أـنـ تـعـقـدـ بـوـلـيـنـ أـنـكـ هـنـاـ لـأـنـيـ دـعـوـتـكـ.
ـ لـسـ أـفـهـمـ حـقـاـ...
فـقـاطـعـهاـ:

ـ هـيـاـ اـرـشـفـيـ قـهـوةـكـ... أـنـاـ لـسـ ذـلـكـ الـمـالـكـ الـشـرـيرـ
الـذـيـ قـدـ يـقـصـدـ بـكـ شـرـاـ... وـلـكـ لـدـيـ اـقـتـرـاحـ اـعـرـضـهـ عـلـيـكـ،
وـأـفـضـلـ اـنـ لـاـ تـنـظـرـيـ إـلـيـ وـكـانـيـ أـعـرـضـ عـلـيـكـ سـرـقـهـ مـنـكـ.
جـبـتـ سـيـيلـ أـنـفـاسـهـاـ، فـهـيـ رـغـمـ إـعـجـابـهـ بـمـزـاحـهـ تـشـعـرـ بـتـوـترـ
جـعـلـهـاـ غـيرـ قـادـرـةـ عـلـىـ الـابـسـامـ. لـمـ تـكـنـ خـافـفـةـ، وـلـكـنـهاـ تـحـسـ بـتـوـترـ
أـعـصـابـهـ.

ـ هـلـ تـرـغـبـيـ فـتـنـجـانـ آـخـرـ مـنـ الـقـهـوةـ؟
ـ لـاـ... الـقـهـوةـ قـوـيـةـ، وـأـرـيدـ أـنـ أـنـامـ.
وـالـفـتـ لـيـحـدـقـ فـيـ النـارـ... إـنـ لـهـ وـجـهـاـ صـارـمـاـ، وـأـنـفـاـ شـامـخـاـ

- قبل أن أدخل في التفاصيل، سبيل. أريد أن أعرف ما إذا كان في حياتك شاب؟ شاب قد يبحث عنك.

فجأة أحست برغبة في الكذب، وفي ادعاء وجود حبيب ولهان وقد بدا لها هذا سهلاً. ولكن، وهي تحت نفسها على هذا القول، كانت تهز رأسها نفياً... وكأنه انتزع الحقيقة منها انتزاعاً بعينيه الساحرتين.

- أذن، أنت حرة؟

- ليس تماماً... فلدي وظيفة يجب أن أكملها.

- مع سيدة عجوز تتوقع منك أن تخدميها؟

- وكيف عرفت هذا؟...

- إنك تبدين كامرأة تعنى بيتها. فقد تحدثت عن جدتك باحترام وحب كما أنك تبدين معن يناسبهم العمل كرفيق مؤقت. فأنت فتاة وضعت امرأة عجوز ثرية ثقتها بك.

لم تكن سبيل ساخرة، ولكنه بطريقة ما دفعها إلى هذا:

- أنت دون شك سعيد بذكائك سيد روميلوس!

- من عادة أهل الريف أن يكونوا شديدي الملاحظة... لقد قلت لك إن هناك مستنقعات يفرق الإنسان فيها.

- أتعلم بأنني أحسن الآن أنني أغرق في إحداها.
رفع حاجبه الأسود متسائلاً:

- صحيح؟ ظنت أنك تملكين روح المغامرة بتركك الطريق والمخاطرنة في خوض الحقول.

- ما ذكرته لي، جعلني استنتاج أنك بحاجة لإنسان لديه روح المغامرة. وأنا لست هكذا، سيد روميلوس!

- هل تخشين أن لا تملكي قدرات تمثيلية تؤهلك تمثيل الحب؟

- ليست المسألة هنا.

٣ - بانتظار الساحرة

لا يبدو لها أنه رجل يتكلم بالترهات... ولكن ما قاله للتو كان مما لا يقبله عقل إطلاقاً.

قالت له:

- أنت تمزح دون شك.

- لم أكن في حياتي جاداً كما أنا الآن.

فابتلعت ريقها بصعوبة... وقد أفقدها كلامه دقة التفكير:

- ولماذا تقترح مثل هذا الادعاء... إنه جنون! بعيد عن المنطق!

- لدى أسبابي سبيل... فلست ذلك المجنون الذي يرمي مثل هذا الكلام جزاها.

- كنت أسأله عن هذا فعلاً... لماذا اخترتني أنا؟

- قلت إنك في طريقك لاستسلام وظيفة... وأنا أعرض أفضل وظيفة تقومين بها.

- ولكن ما تقترحه سيد روميلوس هو اشتراك في تمثيلية خداع لا أعرف حدودها.

- أتوقع منك أن تخترعيها... فأنت امرأة، والنساء قادرات على اختراع كل أنواع المشاعر.

- وما الغرض؟
تمتن لو تستطيع الفصل من سخرية الموقف... وأجابها:

- لا تواجه الفتاة كل ليلة طلباً بأن تكون خطيبة زائفة، سيد روميلوس!

- فهمت الأمور بطريقة خاطئة آنسة... فما أطلبه منك هو تمثيل دور زوجتي.

لكنه لم يقل هذا... لا بد أن التعب والتعاس وتأثير جو المنزل الغريب قد شوش مسمعها.

- أنت دون شك تمزح.

- أؤكد لك سبييل، أن كل ما حديثك به جاد بكل ما في الكلمة من معنى. فأنا لا أحب المراح الصياني. فالوظيفة مستطلب منك البقاء في هذا المنزل على أنك سيدته... أم أن الدور لا يناسب قدراتك؟

- اتساءل فقط أين متوجه امرأة قبل باقراحتك، سيد روamilos؟

- أظن أن هناك وكالات لاستئجار نساء لكل أنواع النشاطات. ولكن حدث أن ظهرت أنت، والحسن في الأمر أنك دون عمل.

ابعد عن المدفأة متوجهًا نحوها حيث مال فوقها واضعاً يديه على ذراعي مقعدها. فأحسست وهو قريب منها بأنها بين ذراعيه... ولكن هذا الرجل بعيد جداً عن الوسامنة، يجعلها تحس بأنها تحت رحمته.

- أقبلني الأمر على أنه تحدّ.

ارتجمفت شفتيها، وأحسست بأن أعصابها تتخلص وكأنه يتلمسها.

- لا بد أنك تحتاج إلى من يمثل هذا الدور... بيس.

- ما مصادفه لك سيمكتك من ادخال المال، لأنك لن تحتاج إلى أن تدفعي شيئاً هنا. للمال أهمية لفتاة شابة مثلك... فكري سبييل، إن قبلي هذه الوظيفة ستؤمنين لذاتك مستقبلاً يجعلك لا تقبلين العمل رفيقة لسيدة عجوز.

- صحيح إنه عمل مضجر، ولكنه على الأقل... آمن.

- اسمعني يا آنسة. إن الطريقة المثلث لنجاح الحياة هو تعلم كيف تخفيين أبوافق بنفسك. ولكن إذا كنت متواضعة، فالآخرون سينظرون إليك باستصغر. فهل ترغبين في أن تلعببي دور كلب مرافق لتلك العجوز؟

- أنت تعرف تماماً كيف تنسج خيوط العنكبوت حول فريستك؟ ترققت الدموع في عينيها وتصاعد غضبها... فصاح:

- اللعنة على الشيطان يا فتاة! لا تنتظري إلى هكذا! لست أطلب منك بيع روحك لإبليس! إنما أغرضن عليك وظيفة سهلة... لعب دور سيدتي المحبوبة!

استرخت سبييل في مقعدها وكأنما افتراحه قد خدرها... .

- سادفع لك راتباً... لن أتوقع منك القيام بهذا العمل مجاناً... سأعطيك متى فرنك أسبوعياً زيادة على ما كنت مستقاضيه من تلك العجوز.

ترددت سبييل في هز رأسها... هي ليست مرتزقة، ولكن للمال أهمية لمن لا يملك منه الكثير. فلقد أوشك حساب التوفير على الانتهاء، ودفعها وضعها المالي السيء للقبول بتلك الوظيفة للسيدة إيلارد... وسألته:

- وإلى متى تتوقع مني... التظاهر بما تطلب منه؟

- المدة التي قد تقتضيها الحاجة يا سبييل.

- وما الهدف؟ فالامر كله يبدو جنونا!

- قلت هذا من قبل. ولكن الحياة كلها جنون... انظري إليها هكذا... فربما قدرك جعل إطار سيارتك يتفجر في هذا المكان أثناء ذهابك للعمل مع سيدة عجوز ستصغرين إلى ثرثرتها عن ذكرياتها، وستخرجين ربما كلها للقيام بتزهـة.

ابتسم لها، ولكن كان وراء ابتسامته روح التحدي.

- هل تشعرين بالخوف؟

وهل تجدين صعوبة في التظاهر بمحبي؟
 بما أنها تحس بتأثيره الغامر فيها، فهي مضطربة إلى إظهار
 نفسها للتغلب على ذلك الشعور فقالت:
 - سيكون مجرد ادعاء.
 فأكمل لها:
 - إنها لعبة... وهي تنصب في خانة مصلحتك... هيا أقبلني
 بالمهمة.
 الصوت المطالب الناعم، جعلها تقلق. إنه رجل قادر، يملك
 متولاً كبيراً وأرضاً واسعة. فلماذا يرغب في إقناع أحد بأنه متزوج.
 ما أغرب هذا. ومع ذلك وجدت نفسها راضية بالفكرة.
 - لن أكون أكثر من موظفة. أعني... لن تتوقع مني... أي
 شيء حقيقي؟
 - لا... إطلاقاً. ستكون علاقتنا رومانسية.
 فشهقت:
 - رومانسية؟

- بما في الكلمة من معنى يا سبيل. فالكلمات هذه الأيام تفقد
 معناها الأصلي لأنها تلتوي وتصبح ذات معنى يناسب أشياء
 رخيصة. فالرومانتيك يا فتاتي، تعني الروعة، القموض، والخيال.
 نحن... لاعب بالكلمة دون أن ننفذها. أنا أحارول اقناعك بأن
 علاقتنا لن تتعذر التمثل.
 - وهل أنت ممثل جيد ميد روميلوس؟
 - الحياة تعلمك أخفاء مشاعرنا.

- إذن عندما أنظر إليك فهذا يعني أني لا أرى حقيقتك بل رجل
 يخفي نفسه؟

- أنت ترين الآن من نفسي أكثر مما أظهرته للكثيرين ممن
 يعرفونني... لقد واجهتك بالحقيقة لأنني أحتاج إلى مساعدتك.

- وهل أشكل خطراً عليك؟
 - لا أعتقد هذا!
 - وهل أنت قد تقدّر في الحكم على الرجال؟ نحن لم نعرف بعضنا
 إلا منذ وقت وجيز.
 - وتفترض مع هذا أنني سأقبل بعرضك خلال دقائق؟ أحتاج إلى
 وقت للتفكير...
 - تبا يا فتاة! ماذا هناك لتفكير في؟ أنت بحاجة لوظيفة، وأنا
 أعرضها عليك... ظلتني أن لديك روحًا فضولية ونشاطاً! أظنك
 فتاة تؤمن بالقضاء والقدر، بالأرواح والتعاويذ والغموض... فهل
 أنا مخطئ؟
 - لماذا تذكر الأرواح والتعاويذ؟
 استوى في وقوته وقد بدا على وجهه نظرة عميقة:
 - من الغريب أن تسألي سؤالاً كهذا. فربما ما أفكّر فيه له علاقة
 بالأرواح والتعاويذ. في اجتناب أشياء مقدمة في سبيل ازعاج أشياء
 مدنية.
 لم تستطع سبيل إشاحة بصرها عنه فقد سرت رعشة باردة فوق
 ظهرها، تصعد وتنهي.
 - أنت تقول أكثر الأشياء جنوناً... فماذا تعني هذه الملاحظة؟
 - أنت عذراء... أليس كذلك؟
 ثبتتها نظرته إلى مقعدها. وأحسست بأنه عرّاها في سبيل أن
 يعرف...
 - كي... كيف تجرؤ على...
 - لا يظهر عليك الغضب. فانا لا أطلب أن أسلبك جواهرة ثمينة
 بهذه... فيإمكانك الحفاظ عليها إلى من تحبين، إلى من لديه الرقة
 والحنان، كل ما أطلب منه العيش تحت سقف متزلي بضعة أسابيع،
 مقلوبة لي الإخلاص... هل تجدينني مخيفاً إلى هذه الدرجة...
 ...

فهل ستتفقين؟

- هل هناك شخص محدد ستبليغ عليه هذه... الميلودراما؟

- كنت أتوقع منك هذا السؤال... والجواب هو نعم.

- وهل هي امرأة؟

أحن رأسه، فشاهدت لهياً في عينيه، جعلها تخشى متابعة سؤالها هذا، لكن شيئاً ما دفعها إليه دفعاً:

- أخبرتني بولين أن لا زوجة لك.

- وأنا قلت لك ذلك أيضاً.

- صحيح... ولكنني لست واثقة من قدرتي على الوثوق بك.

- أعرف أنك لا تتقين بي... هل تسمحين لي بالتدخين، فهذه غرفة نومك؟

احسست بالمعنى المقصد في لهجته فخفق قلبها... ماذا ينوي أن يفعل بشأن غرفة النوم في حال وافقت على العيش معه مدعية أنها زوجته؟ تطلعت بعفوية إلى السرير، ثم دعت الله ألا يلاحظ حركتها، وألا يفهم ما يدور في خلدها. قال لها:

- معك حق... فهذه الرواية تحتوي على مشكلة أو اثنين. سأكون صريحاً معك. المرأة التي أحاول خداعها شديدة الفضول بشأن الأخريات، فإذا لم أشاركك غرفتك أو غرفة مجاورة، فستفهم أنها لا تشارك شيئاً آخر. هل فهمت ما أعني؟

هزت رأسها، لقد فهمت جيداً ما يعنيه، فأحسست بحرارة غامرة ترتفع من تحت ثوب نومها لتصل إلى منبت شعرها... إن التفكير بخلوة من نوع ما مع هذا الرجل جعلها تحترق. سألته:

- هل أنت... هل هي امرأة تحبها... أم العكس؟ هل هي متزوجة رجل آخر، هل هذا هو الوضع؟

- يا فتاتي العزيزة... فيرونيك كانت زوجتي أنا
فنظرت إليه بارتباك:

- ولكن... قلت لي إنك لم تتزوج قط.

رد بسخرية لا حد لها:

- ولم أتزوج. فيرونيك كانت كل شيء إلا زوجة... لقد فسخت الزواج منذ مدة طويلة.

- هذه طريقة غريبة في التفسير، إلا تحب دعوة ما حصل طلاقاً؟
- نحن لم نطلق!

بدأ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً. ودخان سيكاره يلف حول رأسه. خطواته كانت بقوه خطوات الحيوان، وبالوحشية ذاتها، وكأنه مليء بغضب حارق، يتفاعل ويتصاعد إلى السطح.

- كان قد مضى على زوجي منها سنة عندما اختفت من حياتي بطريقة جعلت الناس يشكون في أنني قتلتها، إذ وجدت إحدى أساورها عند المستنقع المتحرك. فارتاحت عندها الشرطة...
ولكنني كنت أعلم أن فيرونيك لم تكن في المستنقع فأنا أعرفها جيداً فهي تريد التشهير بي ونجحت... ولكن التحقيقات أظهرت أن لا أساس رسمي لهذه الشكوك، ولكن رغم ذلك، صدق الكثيرون أنني مسؤولة عن اختفائها، ومع أن ما من أحد من عائلتنا يدعي أنه ملاك. فالتهمات بأنني قاتل زوجته كاد يخنقني.

هل حاول فعلًا اثناء غضبيه قتل فيرونيك؟ لكن لأي سبب؟ إنها تراه من الذين قد يفقدون أعضائهم سريعاً. وكان كل مشاعره شبيهة برياح المستنقعات العميقه عميق البحر الضارب أبداً على الصخور.
- في نهاية السبع سنوات، تقدمت بطلب لإبطال زواجه، فتحررت بذلك منها.

رمي بما تبقى من سيكاره في النار، بايماءة عنيفة تدل على غضبه، وكأنما يريد حرق كل ذكرياته المريرة... وریما قلبها.

نظر إليها متفرساً:

- حسناً... سبيل... أديك شيء تقولينه؟ هل صدمت؟

- بل أصابتني الحيرة... لماذا تريد زوجة مزيفة بعد أن تحررت منها.

فأخذ نفساً عميقاً، كأنه تنفسة:

- لقد حدث وعرفت أن فيرونيك تنوى العودة إلى هذا الجزء من العالم... والمسألة بكل بساطة أبني أود أن أسد في وجهها العناوين.

جاء دور سبييل لتأخذ نفساً عميقاً:

- هل هي... عائدة إلى حياتك؟

- أجل...

قال كلماته ثم رفع الخطب المشتعل بقدمه فانكسر وتطاير الشر منه...

- بعد ما فعلت بك؟

- أجل... إن لها الوقاحة والجرأة على العودة.

- وهل صدق الناس حقاً أنك دفعتها إلى المستنقع؟

- أغلقتك تصديقين هذا كذلك. لقد صنفتني منذ أحضرتك إلى بيتي على أنني الشيطان، ولكن الشيطان أتش... امرأة... تعتبر أجمل من السحرة الذين سمعت عنهم في حياتك، وهي ستأتي إلى البرج لتخثال بنفسها... لكتني، سأريها أبني لم أعد حراً لأقع ثانية تحت تعاونتها اللعينة!

فابتسمت سبييل مرتعشة، ومررت يدها على جسدها:

- إذن سأكون التميمة التي تحفظك، بعيداً عن ساحرتك، فهل تظن حقاً أنني أملك تلك المقومات؟

- ربما... فلو فتشت البلاد طولاً وعرضها فلن أجده من يقف في وجهها، لذا سأستفيد من الحظ الذي جعلنا نلتقي في وقت كنت أحاول فيه إيجاد مخرج ما.

- وماذا يجعلك تظن أنها عائدة إلى هنا؟

- منذ شهر تقريباً، تلقيت رسالة دون توقيع تفيدني عن مكان وجودها. وبما أن الرسالة كتبت بأحرف كبيرة لتغيير نمط الخط، فقد اعتقدت أنها هي من أرسلتها وأنها تخاطط لحيلة ما. فكان أن سافرت إلى باريس بنفسي لأجري بعض التحقيقات. وبعد ظهر أحد الأيام شاهدتتها تخرج من الفندق الذي ذكرت الرسالة أنها تتزلق فيه. وجدتها لم تتغير فشعرها ما زال نارياً وساقها ما زالتا كما هما عندما كنت أطاردهما في الحقول، حيث اعتدنا أن نطلق لمشاهدنا العنوان... هل يصدقكم كلامي؟

هزت رأسها نافية... لم يكن كلامه عن المشاعر التي أطلق لها العنوان في الحقول ما صدمها بل تلك النظرة التي لمحتها في عينيه... وكأنها لهيب مشتعل من جراء تجربة ربطه بفيرونيك، وحتى وهو يسعى للتحرر منها. أضاف بصوت متهدج:

- إذا كنا، أنت وأنا، سمنضي في هذه اللعبة، فيجب أن تعرفي كل شيء. أنا وفيرونيك، أحينا بعضنا في هذه الحقول، وهناك حملت بطفلنا... الطفل الذي لم ترغب فيه والذي أجهضته... لقد وضعتم يدي على عنقها لأنحقها ليلة عرفت، لذا هربت مني. وهذه هي الحقيقة المرة كلها سبييل... فهل تلومتي على القيام بأي شيء لأبعدها عن حياتي من جديد؟ وهل مستعدديني؟

فردات بهذه:

- أنت تطلب مني، ولكني لا استطيع إلا أن أسألك: أما زلت تحبها؟ لأنني واثقة أنك كنت يوماً مجنوناً بحبها...

- ربما كنت مسلوب اللب بها. وربما ما زال «الفيروس» في دمي، ولكني لا أريدها أن تعوداً لقد قتلت أي احترام لها في نفسي... وأنا أكرهها!

- وتريد أن تظهر منها؟

التوت ابتسامة ساخرة على فمه:

٤ - الجميلة والوحش

استيقظت سبييل فجأة من نوم عميق خال من الأحلام. استلقت مترخية في دفء وراحة الفراش. تمطرت بكل، وجالت بعيتها بيضاء نحو أشعة الشمس المتسللة من النوافذ.

تدريجياً زال تعاسها... وأحسست بوزن ثقيل على ساقيها:
ـ ما هذا بحق الله...؟

رفعت نفسها على مرفقيها ففوجشت بكلب ضخم ينام فرق ساقيها على الفراش. كلب ضخم رمادي اللون كبير الحجم... نظر الكلب إليها بوقار، وتنبت أن يكون أكثر ألفة مما يبدو... .

التفت إلى جانبها فوجدت على الطاولة الصغيرة صينية عليها إبريق شاي وفنجان ووعاء حليب ووعاء سكر... بارك الله بولين! لم تتمتع سبييل بتناول الشاي في فراشها منذ زمن بعيد.

تحركت إلى جانبها:

ـ حرك نفسك يا صديقي! خذ هذه البسكويتة.

فالتفطها الكلب وابتعلها في جزء من الثانية، وجلس يراقبها تصب الشاي في فنجان صيني رائع مزین بالزهور... لا مجال للهرب من الحقيقة، المتزل هنا غريب و مليء بالمفاجئات.

فجأة تحرك الكلب ورغم ضخامة جسده فقد قفز برشاقة نحو الباب الذي افتح فجأة لتدخل بولين حاملة حقيبتين وضعتهما عند أسفل السرير.

ـ أود أن أجرب... أريد أن أشاهد الطهارة والقدارة يتواجهان... وقد يكون ذلك حدثاً مميزاً.

ـ لم أقل بعد انتي... هل تركني أذكر اللبلة في الأمر؟
فكراً لحظات، ثم رفع رأسه:

ـ حسناً... ولكن لا تدعني التفكير يسبب لك كابوساً. ثلاثة تتوسلني التي في ما بعد، لأنك من زوج نفسك بين برائين امرأة عجوز... .

توقف لينظر إليها، ثم قال:

ـ دعوني أقول لك هذا فقط... كنت أرغب في الطفل، ولكنها وجدت من يساعدها على إيجاده وهي في الشهر الثالث رامية الخبر في وجهي ذاكراً أنه كان ولداً. منذ أوائل تاريخنا كان المقاتلون من أبناء روميلوس ينجيون أولاداً يحملون اسم روميلوس... . وكانت على وشك قتلها لأنها حرمتني من ابني... . وكدت أفعل... في المرة التالية سأفعل!

ـ انحنى فوق سبييل ليمسك بيدها ويحملها إلى شفتيه ويقبلها:

ـ شكراً لاستماعك لي سبييل... أرجو لك ليلة هادئة.

ثم لم يلبث أن أقفل باب الغرفة وراءه، تاركاً سبييل للوهن الذي تحس به. لقد استمعت لتوها إلى قصة حب وعنف ولم تشک أبداً في أن كل كلمة منها صحيحة. أخذت تهتز في المقعد وكان الماء ما يتابها تعمت:

ـ لا استطيع! ولن أفعل!

بينما كانت تتلفظ الكلمات، كانت صورة دياغو روميلوس حية في تفكيرها أكثر من أي شيء مضى في حياتها. إنه لا شيء بالنسبة لها، ومع ذلك تحس بقبحه عليها. التفت إلى الغرفة المستديره وسمعت صوت بولين: «ليس في الغرفة المستديره زوايا ليختفي الشيطان» ولكن سبييل أحست بأن بولين مخطئة!

- هاك يا سيدتي... لقد ذهب السيد دياغو باكرأ لإصلاح سيارتكم والعودة بها إلى هنا. هل مفتاحا الحقيقتين معك سيدتي لا فتحهما لك؟

رمشت عينا سبييل، لأن ما اجتذب اهتمامها هو مناداة بولين لها بسيديتي بدل أنتي. تقدمت منها بولين:

- تبدين طفلة صغيرة... ومع ذلك أنت متزوجة، لقد أخبرني بنفسه... كنت أعلم أنه ينوي شيئاً. ولكنني صعقت عندما أخبرني.

- وماذا... أخبرك؟ وكيف فعل هذا؟ لقد وعدني...

- وعدهك بإبقاء الأمر سراً ولكنني سينكشف في النهاية سيدتي فأنت الان معه في البرج... ولا يمكنني نقلك إلى جناح الماركيز الأسود قبل أن يطلب مني ذلك... ثم هناك الآنسة باتروسما... فليس لطفاً تركها تظن أنك والسيد دياغو تعيشان دون رابط شرعي.

- دون رابط شرعي... دعني أخبرك شيئاً عنني وعن السيد دياغو...

- ماذا عنني وعنك سبييل؟

دخل دياغو إلى الغرفة وجلس عمداً على الجهة الفارغة من السرير. ونظر إليها متحدثياً. فقالت:

- ليس لك الحق...

فقطاطعها:

- بل لي كل الحق. أعلم أننا تحدثنا عن ترك الناس يعتقدون أنها صديقين لفترة... ولكن بعد تفكيري يا حبيبتي، قررت أن الأفضل إعلان الأمر.

أحسست بعينيه فوقها، فتصاعد الاحمرار إلى وجنتيها حين امتدت ذراعه القوية إلى كتفيها:

- أتركني...

- هيا يا صغيرتي، مستعلن بولين أنني اتخذت لنفسي عروساً

ما تريده.

- لم استطع تحمل تركك تهرين مني سبييل. فقد أحسست أنك ستختررين مرافقة المرأة العجوز على المشاركة في هذه التمثيلية... انظري إلى الأمر من وجهة نظري... الحياة تتطلب المخاطرة. لذا خاطري مخاطرة تضمن لك مالاً وفيراً في جيبل. فأين الفسر في هذا؟

- الفسر موجود في خداعنا... فكيف مستكذب على شقيقتك؟ هل هذا ضروري؟

- أخشى هذا، فما من أحد يعرف فيرونيك، كما أعرفها، التي ستحاول إغراء باتروسما بالحقيقة، فمن الخير لي إذن لا تعرف باتروسما بالحقيقة فهل أنت خائفة؟ هي إنها ليست سوى لعبة.

- لعبة خطيرة... فلقد أثبتت فيرونيك غدرها. هزأت منها عيناه:

- وهل أنت خائفة؟ لن تنجحي في الحياة إذا لم تخاطري... ولا بد أنك واجهت في حياتك بضعة ذئاب.

- ليس منهم من هو متامر مثلك، سيد روميلوس.

- يجب أن تبدأي بمناداتي دياغو: - الاسم يناسبك تماماً... داخلياً وخارجياً! - أنا سعيد بظنك هذا.

وقبل أن تتمكن من منعه، أمسك بذقنها متفرساً في وجهها:

- لك جمال نساء الأساطير.

- آسفة لأنني لا أملك جمالاً صاعقاً.

- ربما لست خلابة، ولكنك معيبة.

- وأنت لست وسيماً بالضبط سيد روميلوس.

- قلت من الخير مناداتي دياغو.

- ولكنني لم أوفق بعد على العرضي في الادعاء بأنني زوجتك.

نزلت يده عن ذقnya إلى رقبتها الناعمة البشرة وقال بلهجة مقصودة:

- استطيع إجبارك... أتعلمين هذا؟ هل أصلك غالى؟

- أمي ذات أصل غالى كانى، فعائالتها محافظة، ونبيلة.

- تتكلمين عنها بصيغة الماضي.

- أجل كانت تعمل معرضة في المدينة وتنتقل بالباص إلى منزل جدي، وقد حدث يوماً أن باصاً تحطم، فقتل فيه عدداً من الركاب، كانت أمي أحدهم. ماتت أمي وهي في الرابعة والعشرين.

- آه... إنها مأساة لك سبييل.

- كنت صغيرة يومها، لكنني أذكرها.

- ماذا عن والدك؟

- لا أذكره... كان دائم التنقل بحثاً عن عمل، ولا بد أنه ابتعد عن حياتنا عندما كنت طفلاً. إنني لا أذكره تقريباً فهو بالنسبة لي أشبه بالموت.

- يا سبييل المسكينة!

كان في كلماته مشاعر حقيقة، ولكنها كانت مصممة أن لا تتركه يؤثر فيها فردت:

- لقد تعلقت من متابعة حياتي فأنا مصرة على أن أنجح في عملي.

- ستتجحين في عملك معن.

لاحظت أنه بحاجة يائسة لأن يواجه فيرونيك بأمر واقع. يريد أن يظهر لها أنه استطاع أن يعيش... ويعحب... من دونها.

استمرت تحدق إليه فقال:

- تنظررين إلى بطريقة غريبة سبييل... فما هو حكمك علي؟

- لم أر في حياتي رجلاً مسلطًا مثلك. ومع ذلك تسمع لأمرأة بإخافتك إلى درجة يجعلك تسعى للاختفاء وراء خداع يورط امرأة

شاهدتها فيه عرفت أن شيئاً قد حدث... فجسدها قد عاد كما كان يوم زفافنا. في تلك الليلة أوشكت على رميها فوق السلم. وليتنى فعلت.

لم تستطع سبييل إشاحة نظرها عنه عندما كان يتكلم... فكيف يمكن أذية هذا الرجل الضخم... لكنه حقاً مجرح جرحاً عميقاً وأكمل:

- لا أقول هذا لكتب عطفك. فكل ما أطلبه أن تمثلني دور زوجتي فهل ستقومين به؟
- حسناً جداً. سأفعل.

كأنما شخص غريب في داخلها نطق بالكلمات، ولكن عقلها أرسل إليها ذبذبات خوف مما هي مقدمة عليه... إنها خطوة عميقة كالستنقع المتحرك حيث تركت فيرونيك سوارها لترهم الجميع بأن زوجها مجرم. إن التفكير بالمرأة أرسل الرجفة إلى جسدها.

عاد دياغو إلى سريرها فأمسك بيديها:
- أنا ممتن لك... آه! يداك باردتان! ما تحتاجينه هو فطور شهي. فارتدي ملابسك وانزلني إلى غرفة الطعام... حيث سأكون بانتظارك.

رفعت سبييل نظرها إليه:
- لم أقم بشيء كهذا العمل في حياتي... وأرجو أن لا تسوء الأمور.

ضغط على يديها بقوّة المتها:
- إنها مهمة صعبة... أعلم هذا... فتحن حتى الآن لا نعرف إلا القليل عن بعضنا ولكن المرأة والرجل لا يعرفان شيئاً عن بعضهما بعضاً إلا بعد زواج حقيقي وما أنكلمه عن سابق خيرة. ارتدي ملابسك وتمرنى عدة مرات على النطق باسمى: دياغو.
أخذت بموجة ارباك تعطى عليها... إنها تشبه ممثلة تتظر

آخرى... فكيف هذا؟

- لكل منا نقطة ضعف. قد ييدو لك أن فيرونيك لي. ولكتنى لأنق بها. ولا أثق بنفسي أمامها. أترى يا سبييل، لقد عرفنا بعضنا منذ الطفولة. والجميع يعرف أنها كانتا مجتوتين بحب بعضنا... لقد أقيم احتفال زفافنا في متصرف ليلة صيفية وذلك عندما يحتفل الفلاحون بعيد القذائف، وهو احتفال وثني قديم متواتر لطرد الأرواح الشريرة وزيادة المحصول... إننى حتى اليوم أتصور وجهها على ضوء النار التي توقد في الاحتفال وهي تقف بشربها المحمل بالآيس!

تنفس بعمق، وايتعد عن سبييل، فابتعدت بذلك ذراعاه عنها.
وكالأبله، ظنت أننى تزوجت أكثر الفتيات إثارة. ولكتنى في الواقع تزوجت ساحرة... أشبعنى بيل ثروب، رسم صورة لها على الورق بالفحم ثم حول الصورة إلى لوحة ملونة. وقد أراني إياها بعد أيام من رسماها. فقد ظهرت في هذه الصورة شعلات نارية حقيقة، تتلاءب حول فوديها وشعرها، فقد استطاع أن يرى في عينيها ما لم استطع رؤيته حتى الليلة التي عرفت فيها أنها أجهضت طفلها. وكان ذلك بعد سنة من زواجنا... وكأنما انتظرت سنة لتقدم ولدي تضاحية لنيران الشيطان التي تشتعل في داخلها.

وقف... ثم تقدم نحو النافذة، حيث وقف معطياً ظهره لنور الشمس، ووجهه للظلل.

- حصل بيننا أكبر شجار عرفناه في غرفة النوم. وتركتها تخرج كل ما في جعبتها كالبغية! وكان لدينا احتفال في القاعة الكبرى، وعندما ضربتها، صرخت حتى جعلت جميع الموجودين يسمعونها. وفي تلك الليلة غادرت البرج. تسللت كقطلة في الظللام... ووجدت الشرطة سوارها الذي كانت تضعه مع الشوب الجديد للحملة. وذلك الشوب هو الذي أشعل الشجار أصلاً، فحالما

هو أن تتجهز بالكسوة اللاقعة لمركزك كسيدة لكل هذا! حرك يده من حوله مشيراً إلى المنزل.

- صحيح ولكن لم يخطر ببالِي أنك ستزورني بجهاز عروس.

نظر إليها بخث:

- ولماذا لا؟ لأن تزويدك بجهاز عروس يجعل الأمر أكثر واقعية؟

- لا يأس طالما تبدو حقيقة فقط... سيد...

- دياغو... بالله عليك! لا أستغرب أنك دون عمل، فأنت لا تتعلمين بسرعة!

- ولا عجب أن تكون الزوج المهجور.

تصاعد غضبها للامامته الوتر الحساس. لم يؤلمها كلامه فقط بل وتر أعصابها... ولكن نظر إليها ببرود، ورفع رأسه قليلاً قبل أن يجيب:

- أعتقد أنني أستحق رداً كهذا... وإذا كان جوعك حاداً كلسانك، فأنت بحاجة إلى الطعام سريعاً، أيتها السيدة الشابة...

هيا بنا!

عندما لحقت به بدا لها في سيره كرجل الأدغال: يمشي بخفقة ورشاقة الفهد، وكأنما ترعرع يتدرّب على الرشاقة. واستدار نحو معر... وتوقف قليلاً أمام باب غرفة ضخمة سقفها من زجاج كان قد سماها بغرفة الزهور...

عندما دخلت سبييل، رأت أن الشتلات والأزهار مرتبة في أوعية وسلام متبدلة. وفوق طاولة من الخيزران، إلى جانبها كرسىان خيزران... تشكيلة من الأطباق المغطاة، تنتشر فوقها أشعة الشمس عبر السقف. أشار إلى الطاولة:

- تفضلي بالجلوس... أنا عادة أتناول فطورِي في هذه الغرفة.

- إنه مكان ساحر سيد...

دورها لتخرج إلى المسرح، بشخصية أخرى اخترعها شخص آخر... شخص عليه أن يقنع الجمّهور بحقيقةتها.

دفت وجهها في الوسادة خوفاً... لن تستطيع المضي في الأمر! يجب أن تنسحب!

سترتدِي ملابسها، وتنزل حاملة حقيقتها، وتقول له بحزم إنها في طريقها إلى بيارتيس.

بعد نصف ساعة، نزلت إلى الطابق الأرضي ترتدي تنورة ذات ثنيات فوقها كتزة بلون ورق الشجر... ولكن دون الحقائب... تحس بالخجل من ضعفها وجبنها. وكان دياغو هناك يقلب بعض الرسائل... حين وقعت أنظارها عليه، علمت لماذا شتركت بلعبته. إنه يسحرها بقدر ما يخيفها... وما من رجل فعل بها هذا من قبل. إنه يجعلها تحس... بالتهورا

رفع بصره إليها يتأملها:

- ثياب «المراقبة» لن تناسبك. ستحتاجين إلى الثياب التي من المتوقع أن أقدمها لك أنا... المحلات في «دايدن» مليئة بها... ستدهب إلى هناك في سيارتي!

- سيكون أمامك صراع يائس لمحاولة جعلِي متألقة مثل فيرونيك... فالصعوبة تكمن في أنك اخترت نوعاً مختلفاً من النساء زوجة لك.

- فليكن كما يكون. أريد أن ترتدي أفضل الثياب وهذا لا يعني أن ملابسك قبيحة ولكنها ملابس محشمة أكثر من اللازم.

اشتعلت عيناها بالغضب:

- محشمة! ما نوع الزوجة التي تريدها... امرأة لعوب! حدقـاً إلى بعضهما ثم تلاشت نوبة الغضب بابتسمـة تراقصـت عند طرفـي فمه:

- أنت تستحيـين غصـباً عندما يمسـ إحساسـك. كلـ ما أفترـحـه

- دياغوا

هذه المرة لم يرفع صوته بالاسم، بل قال بخりير مهند... ثم خطأ إلى الأمام ليمسك كرسيًا لجلس فوقه:
- شـكـ... شـكـراً لكـ.

- قولي اسمي سـبـيلـ. لا يصعب لفظهـ.

جلشت وهي تحس به فوقهاـ، ففـالـتـ مـقـطـرـعـةـ التـفـسـ:
- لا تـدـفـعـنـيـ إـلـىـ كـلـ شـيـ». يـكـفـينـيـ أـنـ أـحـسـ وـكـانـ عـاـصـفـةـ أحـاطـتـ بيـ.

سـارـ خـلـفـهـ مـسـتـدـيرـاـ إـلـىـ كـرـمـيـهـ قـائـلاـ:

- آهـ... رـيـماـ... عـلـىـ كـلـ الـأـحـوالـ يـاـ طـفـلـتـيـ... عـلـيـكـ تـعـرـيدـ نـفـسـ علىـ استـخـدـامـ اـسـمـيـ. فـيـ الـأـيـامـ الـغـابـرـةـ كـانـتـ الزـوـجـاتـ يـقـيـنـ رسـمـيـاتـ معـ أـزـوـاجـهـنـ حـتـىـ بـعـدـ اـنـجـابـهـنـ دـرـيـنـةـ مـنـ الـأـوـلـادـ...
ولـكـتـيـ لـأـحـبـ الرـسـمـيـاتـ، مـفـهـومـ؟

ثـمـ جـلـسـ يـصـبـ الطـعـامـ فـيـ صـحـنـ سـبـيلـ، بـيـنـماـ كـانـتـ تـصـبـ الشـايـ فـيـ فـنجـانـيهـمـ... وـقـالـ:

- طـاهـيـتـيـ، السـيـدـةـ دـيـسـونـ هـنـيـ القـضـلـيـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ. سـاحـضـرـ لـكـ اـبـتـهـاـ مـسـاعـدـةـ لـكـ. فـقـدـ عـلـمـتـ أـنـهـ لـأـ تـقـبـلـ بـعـملـ التـنـظـيفـاتـ.
فـصـاحـتـ مـحـتـجـةـ:

- ولـكـتـيـ لـسـتـ بـحـاجـةـ لـمـسـاعـدـةـ؟
- إـنـهـ أـمـرـ إـلـزـاميـ لـسـيـدـةـ مـتـزـنـ كـمـتـزـلـيـ. رـيـماـ لـمـ تـلـاحـظـيـ بـعـدـ يـاـ عـزـيزـتـيـ وـلـكـنـ «ـالـبـرـجـ»ـ هـنـاـ لـيـسـ كـمـتـزـلـ صـغـيرـ فـيـ مـزـرـعـةـ صـغـيرـةـ.

- أـعـرـفـ هـذـاـ، فـلـسـتـ غـيـرـيـ، وـلـكـتـيـ لـأـرـىـ حـاجـةـ إـلـىـ خـادـمـةـ.
وـكـانـتـيـ فـعـلـاـ أـنـاـ سـيـدـةـ مـتـزـلـكـ.

- وـلـكـنـ عـلـيـكـ أـنـ تـنـهـرـيـ بـعـظـهـرـ السـيـدـةـ لـذـاـ لـأـ بـدـ منـ مـسـاعـدـةـ.
أـتـرـيـدـيـنـ الـمـلـحـ وـالـبـهـارـ؟

دـفـعـ لـهـاـ بـعـلـبـنـيـ الـمـلـحـ وـالـبـهـارـ بـعـدـ أـنـ رـشـهـمـاـ عـلـىـ طـبـقـهـ. أـضـافـتـ

سـبـيلـ قـلـيـلـاـ مـنـ الـمـلـحـ إـلـىـ جـانـبـ طـبـقـهـ.
- وـلـمـاـذـاـ تـرـجـعـ نـفـسـكـ بـكـلـ هـذـاـ بـعـدـ طـولـ فـرـاقـ بـيـنـكـمـ؟ـ أـنـتـ بـكـلـ

تـأـكـيدـ قـادـرـ عـلـىـ مـوـاجـهـةـ أـيـةـ اـمـرـأـ؟ـ أـيـةـ
أـمـرـأـ...ـ مـاـ عـدـاـ تـلـكـ التـيـ لـاـ يـزـالـ يـحـبـهاـ بـحـرـارـةـ النـيـرـانـ التـيـ لـمـ
يـسـطـعـ زـمـنـ وـالـأـلـمـ وـالـوـهـمـ أـنـ يـطـنـثـهـاـ وـأـكـمـلـتـ كـلـامـهـاـ:
- أـلـاـ يـقـالـ إـنـ اللـهـ يـعـطـيـ الـمـلـنـبـينـ فـرـصـةـ لـلـتـوـبـةـ؟ـ قـدـ تـكـونـ
فـيـرـونـيـكـ عـائـدـةـ وـهـيـ تـائـيـةـ.

فـرـدـ بـقـسوـةـ، جـعـلـتـ طـرـقـيـ فـعـهـ وـكـانـهـمـاـ يـرـتـجـفـانـ.
- لـهـاـ أـنـ تـوـبـ مـتـىـ شـاءـتـ...ـ وـلـكـتـيـ لـنـ أـغـفـرـ لـهـاـ...
- وـهـلـ أـنـتـ مـتـكـبـرـ قـاسـيـ الـفـؤـادـ إـلـىـ هـذـهـ الـدـرـجـةـ سـيـدـ...ـ دـيـاـغـوـ؟ـ
- أـهـ...ـ وـأـخـيـرـاـ تـمـكـنـتـ شـفـتـكـ مـنـ التـلـقـ باـسـمـيـ أـجـلـ
سـبـيلـ...ـ أـنـاـ مـتـكـبـرـ...ـ وـأـتـمـكـ بـقـوـةـ بـشـرـفـ هـذـاـ الـمـتـزـلـ. لـذـاـ لـنـ
تـكـوـنـ لـهـاـ فـرـصـةـ ثـانـيـةـ تـخـوـلـهـاـ تـلـطـيـخـ اـسـمـ عـائـلـةـ روـمـيلـوـسـ بـالـوـحلـ لـقـدـ
أـنـتـمـلـتـ فـضـائـعـ وـإـشـاعـاتـ كـثـيـرـةـ...ـ أـنـتـصـورـيـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ
أـشـيـاءـ أـخـرـىـ كـتـتـ مـفـسـطـرـاـ إـلـىـ التـغـاضـيـ عـنـهـ وـهـيـ تـعـيـشـ هـنـاـ؟ـ عـبـثـيـاـ
مـعـ اـصـدـقـائـيـ مـثـلـاـ مـيـلـهـاـ إـلـىـ الـإـسـرـافـ، وـشـجـارـهـاـ الدـائـمـ مـعـ موـظـفـيـ
الـمـنـزـلـ!ـ وـتـفـاخـرـهـاـ الـمـثـيـرـ لـلـأـعـصـابـ بـأـنـهـاـ «ـالـجـمـيـلـةـ»ـ وـأـنـاـ
«ـالـوـحـشـ»ـ...ـ ثـمـ اـجـهـاـضـهـاـ لـأـبـنـيـاـ سـارـهـاـ تـحـرـقـ بـنـارـ جـهـنـمـ قـبـلـ أـنـ
أـغـفـرـ لـهـاـ

قـضـمـتـ سـبـيلـ قـطـعةـ فـطـرـ أـخـرـىـ.
- أـلـمـ تـفـكـرـ بـأـنـهـ سـيـكـونـ هـنـاكـ الـكـثـيـرـ مـنـ إـشـاعـاتـ وـالـكـلامـ
بـشـأـنـاـ عـنـدـمـاـ يـكـتـشـفـ النـاسـ الـحـقـيـقـةـ؟ـ
فـجـأـةـ ضـاقـتـ عـيـنـاهـ، وـثـبـتـهـمـاـ عـلـيـهـاـ:
- لـقـدـ كـانـ هـنـاكـ شـائـعـاتـ قـبـلـ الـآنـ...ـ هـلـ أـنـتـ قـلـقـةـ بـشـأنـ
سـمـعـتـكـ؟ـ

• 171 -

كان ردّها هذا أسهل من قول إنها قلقة مما قد يحدث بينهما من مواقف حميمة عند ادعائهما أنها زوجته، زوجة هذا الرجل غير العادي، المعقد، الغارض نفسه.

أنه ادعاء قد يورطهما في نوع من التمثيل الواقعي للبحث، وهي لا تتحقق به تماماً... إنه أعمق من أي إنسان تلقته في حياتها... ستحس به يغويها ويجذبها أعمق فأعمق في مؤامرتها حتى وهي تناضل بشراسة كي تتحرر منه.

三

٥ - حريق الذكريات

اتسامة خففة المعنى على فم دياغو:

-ستعودين إلى باريس ، وهو مكان بعيد جداً عن هذا البرج وعن أي أقاويل قد تلوكها الألسنة بشأن إقامتك فيه .

النعت عبناها يعنيه وسارعت للدفاع عن نفسها:

- لا أظنك تهتم إطلاقاً بسمعي... فلأنك ت يريد فقط تنفيذ ماريوك... ومن المفترض أن أسمع لك بهذا... لا بد أنك تعتبرني غبية!

- يا العك... مسحيم يا سيل... أنا اعتبرك فتاة غير عادية.

دفنه الطلاق المحتهء، عمل ما تبقى، من فطر وقال بيرود:

- أشاركتني في هذه؟ لقد التقettyا طازجة بتنفس، عندما كنت
طير لاصلاح سيارتك... إنها سيارة «فويغ» رائعة....

ألا تذكر كتبت تقديرات بـ ٣٠٠ ملار عن قطاع الاطارات؟

- أنا أحب القادة... وهذا جزء من عملى مع السيدة إيلارد.

كان كذلك ... أتى يدين العزيم من هذا؟

لَا يَكُفُّ شَكَالُكَ

أحست بجفاف في حلقاتها فصبت بعض الشاي... إنها محققة
فـ، ظنها شأنه... إنه كصغر لا رحمة في قلبه يلاحق فريسته... لو

كانت تملك ذرة من عقل لوت هاربة من هذا المترنل . فسيارتها الان
أصلحت وفي هذه السيارة سرعة تكفي لابعادها بسرعة .

الآن عدم جلوسك هنا معنى؟

أشاحت بصرها عنه وأثبتته على نبتة «فوشيا» معلقة في سلة،
تدلى منها أزهارها الحمراء الارجوانية كراقصات صغيرات في
الهواء... ردت:

- يجب أن تعرف بأن لعبتك هذه ليست تقليدية. وأنا أحسن
بأنني أنجرف إلى أشياء أعمق... لا... لا أنكر خوفي.

- خائفة مني؟ أم خائفة من عدم النجاح يدور السيدة دياغرو
روميوس؟

- أنا مقيدة... فلم يسبق أن لعبت دوراً كهذا... دور زوجة.
- لست دعثاً.

- هذا لأنك تعتبرني غبية بلهاء، تمكنت بسهولة من اصطيادي،
فقد استغلت حاجتي إلى المال، وتلاعبت على مشاعري.

- ربما في ما تقولينه بعضاً من الحقيقة، إضافة إلى أن لديك
لمسة ما تفتقد لها فيرونيك الجميلة! فالوراثة فعلت فعلها بها...
ولكن جمالها أعماني فلم أحظ افتقارها إلى كياسة الروح. ولكني
تعلمت بطريقة قاسية.

لم تسمع سبييل في حياتها مثل هذه العරارة في صوت إنسان،
ولا رأت مثل هذا الغضب وفوران المشاعر في عينين... أحست
بمعركة طاحنة تدور في نفسه، بين مشاعر الرغبة القديمة التي يحاول
التغلب عليها وبين كرهه لفيرونيك لما ارتكبت بحقه. لقد كرهها
لأنها أقل كمالاً من وجهها، كان يظن أن بين يديه ملائكة... ثم
اكتشف أنها تافهة عديمة الفضمير.

ربما كان يعتقد أنه أن يسامحها على تفاهتها وغرورها، ولكن
ليس على إيجهاضها طفله البريء!

أحسست بقشعريرة تسرى في جسدها، وكأنما هبة ربيع من
المستنقعات الموحشة وجدت طريقها إلى الغرفة.

أمك دياغرو بقطعة من الفطر فوق شوكته:

- النساء كالفطر. للذلة وخطرة فيما لو لم تحسني الاختيار...
مثل القبلة: إما أن تذوب في القم أو تذمر مثل الفطر السام. أعرف
ماذا يجول في فكرك سبييل. أنت لا تتقين بي ولا تعتبريني رجلاً
مهلباً.

نظرت إليه من فوق حافة فنجانها:

- وهل استطيع؟

ثم مضيقت أسنانه البيضاء قطعة الفطر:

- لا استطع قول هذا حقاً... على الأقل، أنا صادق معك.

وضعت سبييل ملعقة مربى فوق التوست:

- يقال إنه لم يعد هناك قواعد هذه الأيام لتكسر... ولكن لا بد
أنك وجدت واحدة... دياغرو؟

فابتسم، وكأنما لهجة صوتها تسعده:

- تغير الظروف... يخلق قواعد جديدة. ولكتني أعترف أنني
لست بالرجل الذي يتحنى أمام التقاليد.

- ربما لهذا السبب قاتل الناس إنك وفيرونيك خلقتها
لبعضكما... ألا تهوى تحطيم التقاليد؟

- ما أحطمه أنا يا صغيرتي لا يشمل ذبح الأبرياء. أتفظين أنني لا
أرى البراءة في عينيك المراوغتين اللتين تتغيران من الهدوء حيناً إلى
الاضطراب كبحر يقع على سواحل خليج إسبانيا... الشكوك تمرج
في رأسك مثل أمواج المحيط التي ترمي بنفسها فوق الصخور التي
تواجهاها وتتردها... وتمر زمن طويل قبل أن تتمكن الأمواج من
التأثير بصخر أو تحويله إلى رمال.

- إذن... أنا الأمواج... وأنت الصخر؟

- أليس كذلك؟ العبة لعبة حظ يا سبييل... ولو لم يكن هناك
قطعة صخر على الطريق لما كنت تجلسين الآن هنا... فهل تتمدين

لقد فصل نفسه، قانونياً، عن فيرونيك... ولكن سبييل واثقة أن روحه ما تزال مرتبطة بتلك المرأة التي عاش معها في هذا المنزل، بشكل حميم. شغف انتهى أخيراً بالمال
- هل نتصافح لتأكيد اتفاقنا؟

صوته جذبها من أفكارها. فنظرت متعددة إلى اليد الممدودة نحوها فوق الطاولة... كاد تفكيرها السليم يدفعها للرقص... ولكن يدها على غير إرادة منها امتدت إليه... وبينما اصبعيه القوية أطبقت على يدها الناعمة، أحسست بذبذبة تسري فيها حتى قمة ذراعها، ترسّل أمواجاً من الأحاسيس إلى قصصها الصدرية حيث كان قلبها يخفق كالمحجون.

إنها كلها يمتد إلى أطراف كل عظامها. فقالت من بين أنفاسها:

- أوه... يا ربي! ما أشد حاجتي إلى الشجاعة!
- بالطبع... ولكن لديك «المستوى» وبعض الملابس الفاخرة...

سحبت يدها من يده:

- لا لا أريد أن تصرف مالك على ملابسي... لست أرى ضرورة لهذا... أظن أن في هذا مبالغة... ألا ترى هذا؟
ارتدى إلى الخلف مكتنرا على ظهر كرسيه، واضعاً سيكاراً بين شفتيه، انتشر دخانه حول وجهه حين أشعله، لكنه بدا ضائعاً في عمق أفكاره.

- همم... ربما أنت محق... صحيح... لماذا شراء ملابس جديدة، بينما هناك خزانة مكتظة بها في تلك الغرفة اللعينة التي أغلقتها منذ سنوات؟ أتوقع أن تجدي على الأقل عشر منها تناسبك... دون شك جدتك علمتك الخياطة إذا احتجت إلى اصلاح شيئاً منها.

- ثياب فيرونيك؟
افتراحته ولد الذعر في نفسها. ومع ذلك رأت المعنطقي فيما قال.
لقد كلفته ثروة، والاكتفاء بها ميزيل الحاجة إلى ثياب جديدة... كما أنها تشعر بالانكماس والتوتر من فكرة زيارة محلات أزياء مع دياغو ورؤيته يحرر شيئاً. ستحس بالتأكيد أنه يوقع عقد شرائها.
- لا تعجبك الفكرة سبييل؟ لقد كانت دقّة الاختيار فيما شترىه، والملابس لم تمس منذ تركتني. والخزانة من خشب السنديان، ولا مجال لأن يفسدها العث. صدقيني... كانت فيرونيك معتادة على تغيير ملابسها خمس مرات في اليوم الواحد على الأقل. لتمثل فيها مختلف الأدوار: سيدة المنزل، سيدة المزرعة، ديانا، آلهة الصيد، افروديث، آلهة الجمال والأمواج...
كان علي أن أحرقها كلها...

فردت عليه ببرود:

- لن تستطيع... فهذه الملابس لامت جسدها... وحرقها قد يعني أن تحرقها هي
فتمتنع:

- التعويذة السحرية المناسبة!... لهذا كانوا يحرقون الساحرات في الأيام الغابرة... وحق الجحيم! أنا أصرّ على أن ترتدي ثيابها سبييل! هيأ معاً لتنقلي نظرة عليها.

كان للمنزل أبواب عالية، تسهل للرجال المديدي القامة الدخول منها بيسر. أمسكت سبييل أنفاسها وهو يفتح الباب بعفتاح كان يحتفظ به في مكتبه... فأصدر الباب صريراً عندما افتح. كانت الغرفة التي فتح بابها معتمة جوها عفن... تقدم دياغو إلى التوافذ وفتح الستائر المخملية الطويلة، فأرسلت غبارها إلى أنفه، فعطس.

- كما ترين سبييل... هذه الغرفة لم تفتح منذ سنوات طوال.
فتح التوافذ فتسقطت إليها أشعة الشمس، حيث تراقص الغبار

- وهل يمكن الخلاص من الأشباح بسهولة الخلاص من خيوط العنكبوت؟

بذا على وجهه ظلاماً وعبوساً وهو غارق في التفكير:

- لا... خاصة عندما تتحطم الأحلام فوق الصخور... عندما يحدث هذا فالتعلق إلى المستقبل يبدو دون قائلة... إنه كسفينة تغرق وتترقب بينما قبطانها يفكر في طريقة ما لتابعة الرحلة... لقد رضعت الخطط وشملت فيها وجود ولدي... ولكن اتضاع أني حبت حساباتي بينما الثعلبة تمزق عنقه.

الكلمات التي عبر بها عما حدث، بقيت ترن في الغرفة كالصدى، أجال دياغو نظره في الغرفة ثم أكمل:

- سحرتها هذه الغرفة دائماً... لذا قررت أن تكون لها... هناك قصة عن هذه الغرفة تقول إن عروساً جديدة كارهة، حبست في هذه الغرفة وحدها ليلة زفافها... وقال لها زوجها «منى أيا تفضلين... البقاء وحدك أم البقاء مع الحبيب». تلك الرواية تقول إن العروس وُجدت في الصباح ميتة قرب النافذة لكن لم يعرف سبب موتها يوماً. ولكنني أرى المسكونة تناولت سما... يقال أنها كانت مؤمنة تريد أن تصبح راهبة... ومهما اختلط الواقع بالخيال، فهذه الغرفة فيها جو محدد... لا تحسين به سبييل؟

تلفظت سبييل بردها بكل حذر وكأنما هناك من يسترق السمع إليها.

- هناك رائحة عطر محددة... أظنه رائحة القرنفل.

- صحيح؟

تشنق ما حوله بعمق:

- إن هذه الرائحة ما تزال عالقة من عطر فيرونيك.

أشارت إلى زجاجات العطر:

- لا... فهذه الأسماء هنا تدل على «كاشاريل» و«غورلان».

فيها. ألت سبييل نظرة حولها وهي تخاطر داخل غرفة فيرونيك المهجورة. ووقفت وهي تحس بقوة لهاث دياغو وهو مع زوجته الأصلية. ثم نظرت نحو السرير الفخم المغطى بقطاء من فرو فاقدة القدرة على النطق.

لا بد أنها شخصية مخيفة، قاسية، حساسة تلك التي كانت تتمتع بالسلطة هنا، والتي استخدمت جسدها لفرضها. واستطاعت أن تخيل صورة شاحبة لجسد أبيض عار يتکور فوق الفرو البني... سمعت صوت الرجل الذي امتلك ذلك الجسد فوق الفرو:

- حسناً سبييل؟ ما رأيك؟

أبعدت نظرها عن السرير إلى طاولة الزينة، العلية بالمساحيق غير المرتبة، وزجاجات العطر، وأقلام أحمر الشفاه... واللعب... لعب قديمة الطراز بينها ملابس تشبه راقصات في قاعة موسيقية.

رأت على الأرض علبة زجاجية مسحورة وهي دون شك تلك التي ضربت بها فيرونيك زوجها تلك الليلة لتخطئه وتكسر المرأة من الأعلى إلى الأسفل... وهذا ما أضاف جو الشر على هذه الغرفة السابقة في الفوضى حيث تبودلت فيها كلمات وحشية من... والى.

- قولـي شيئاً سبييل!

عندما التفت عيناها بعينيه، كانتا كقطعتي ذهب:

- لست أدرى ما أقول... فالغرفة بحاجة إلى تنظيف.

- سأستدعي بولين لتهتم بالأمر.

نظرت إليه بذهول، فرفع حاجبه وقال:

- ألسنت ميلة المنزل؟ ومن المتوقع أن تطلبني رفع الغبار وخيوط العنكبوت عن الغرفة هذا إن لم ذكر شبهاها.

فسألته بيطء:

رجل دون أن يشتبها. ولذلك كانت تتزين... متعلقة بذراعي في حين كنت أعرف أن كل من ينظر إليها من الرجال يحسني عليها. وإذا عبّثت مع أحدهم كنت أتسامح لأنني...
صمت... ثم راح ينظر إلى الفساتين، مقوس الكتفين وكان نقل الذكريات أنقل من أن يحمله...
- مرت علي أوقات يا سبييل، كنت واثقاً فيها من جبها لي... ولكن الرجل قد يكون أبله لا يعرف متى تدعى المرأة التجاوب معه. ولكنني متأكد من أنها لم تكن تمثل وهي بين ذراعي... كان بيتنا... شيء ولكنها دمرت كل شيء. قطعته من لحمي... كما جعلت أحد المتلهفين على المال يقطع ابني من احتشادها... إنني وإن كنت أحبها، فلن استطيع مسامحتها، أو التوقف عن كرهي لها. لا لما فعلته بي بل لما فعلته بطفلتي.
كانت صرخة نابعة من أعماق نفسه. صرخة لن تشعر سبييل بمثلها في حياتها.

شعرت عندها بأنها دخلة، لن تقدر على الحلول مكان فيرونيك... والناس دون شك سيهزوون فيما لو دخلت معه مكاناً متأبطة ذراعه!

قطع صوته الغاضب أفكارها:
- أردت رؤية هذه... فهاك هي...
طارت كومة من الفساتين من بين يديه نحو أسفل السرير... قماش فاخر وألوان تقطع الأنفاس... وشاهدت في خيالها يد تمتد لتنفس الغبار عن الفستان الليلي، وأصبح ينفض بقعة أخرى عن كم الفستان الأسود اللامع. وتعلق الفستان الليلي فوق جسد رائع، يجعل الرجال يلعقون شفاههم. وأمسك بها بقوة حتى المها، ولا بد أنه سيترك أثر أصابعه على لحمها. وقالت له:
- لن يصدق أحد أنك تزوجتني بعد أن كنت متزوجاً من

وابتسم بوحشية:
- لا بد من هذا... فهي لم تكن تقبل إلا الأفضل... أعتقد أنها في باريس وجدت مغفلة آخر يصرف على رغباتها.
فجأة تقدم من السرير وانتزع عنه الغطاء الفرو ورماه إلى الأرض ثم ركله بوحشية... هذه الحركة أعطت التأكيد للصورة العارية التي تصورتها فوق الغطاء. وعلمت أنه تصور المنظر نفسه... عيناً فيرونيك مليتان بالسحر وذراعاهما مفتوحة تدعوانه... وسمعته يتمتم:
- أنت تشمرين رائحة القرنفل سبييل... ولكنني لا أشم سوي رائحة لحم تلك المرأة الدافئـة التي دخلت إلى هنا عروساً رياضية... يحق الجحيم... سأجعل كل ذرة من هذا الخباء اللعين ينطف إلى أن تصبح رائحته حامض الفينول! أما كل ما استخدمته فسأرميه في سلال المهملات... هذه اللعب اللعينة... إنها تبدو كبنات الهوى!

اقرب من سبييل ماداً لها يده:
- تعالى... لن أطلب منك ارتداء شيئاً ارتدته هي... فلنخرج من هنا!

وتراجعت قبل أن يمسك بها وقالت بصوت جاف:
- أنا... أود أن أرى أغراضها... هل لي بذلك؟
قطيع... ثم هز كتفيه:
- ولم لا؟ إذ بعد ذلك سأصنع منها ناراً تشتعل في الهواء الطلق! واستدار إلى الخزان المثبتة في الجدار، المصنوعة من خشب السنديان على الطراز القديم، وفتح أبوابها... فبدت أمامها بهرجة الألوان تلاعب فرق الحرير والمتحمل.
- كانت هذه المجموعة ترتديها في الأمسيات، هنا أو عندما نخرج للسهر. كانت ليل نهار مولعة بالظهور جميلة... لم يرها

وقت المرأة هناك... خلف أشعة الشمس المليئة بالغبار
وراحت تضحك بعنومة.

• • •

فيرونيك... ولو أن هذا كان حقيقة، لا لعبة فحسب لكنك اعترفت
لنفسك. فهيا... اعترف بهذا الآن!
فنظر إليها بقوس أولاً ثم بقوة جباره رفعها عن الأرض وأطلب
بفمه عليها حتى كادت أنفاسها تتوقف.

- متزوجيني حقيقة يا سبييل.

دارت بها الدنيا عند سماع كلماته، فقد اجتاحتها الخدر ثم
أصيّبت بالدوار، بعدها أُنزلها فوق السرير ببطء ولكن بحزم... ثم
صفع خدها مازحاً:

- أيتها الفتاة الحمقاء... ماذا هناك ليقمني عليك.

فردت دون وهي واهنة:

- لن... متزوجك... ولو كنت آخر رجل في الدنيا.

- لهذا اطراء؟

قاومت لتجلس ثم تقول:

- أنت متزوج... متزوج في قراره نفسك من فيرونيك... إلى
أبد الآبدين.

- بالله عليك... لا تقولي هذا!

ودفعها فوق الغراش بقوة عضلات غاضبة فصرخت:

- لا!

- لا؟... الزوجة الصغيرة بدأت تقول «لا».

كان صوت امرأة يأتي من الباب... جلس دياغو كان تياراً
صبعته... فارجع شعره الذي تشعث إلى الوراء وهو يستدير نحو
امرأة كانت تقف عند الباب المفتوح... .

سمعته سبييل يصرخ:

- أنت؟

- أجل!

٦ - في قلب العاصفة

- أرى أنك لم تكن تتوقع رفقة يا أخي... لقد أعلمني بولين أنك فاجأتها بزواجه من امرأة ياريسية.

عند سماعها هذه الكلمات، عاد الغثيان إلى سبييل. فاستلقت دونوعي بينما انسد دياغو عن السرير واقفا... تأثيره القوي تزعزع قليلاً عندما ضبطت شقيقته ممدداً قرب سبييل.

- باتروسما... ادخلني وتعرفني على زوجتي الجديدة. اسمها سبييل. والصراع الصغير الذي شاهدته لتوك كان حول هذا. أخرج من جيبي علبة صغيرة وفتحها، فلمع شيء فيها. أمسك بيد سبييل بحزم ووضع في إصبعها الثالث خاتماً ضخماً لم تشاهد له مثيلاً من قبل.

حدقت مذهولة إلى الجمال الأخاذ للألماسة القابعة فوق الخاتم الذهبي... في وسطها كانت شعلة زرقاء قائمة خلبت لبها وخطفت أحصارها وكان هذا البريق ما يزال في عينيها عندما رفعتهما إليه.

- سبييل هي من الفتيات اللواتي يؤمّن بالعطاء لا بالأخذ... ولكنها ستضع هذا الخاتم في إصبعها. ومشهددين على هذا... هه ياتي؟

تقدمت الشقيقة من السرير... كانت طويلة كأخيها، سمراء مثله، تذهل الناظر إليها. على بشرة وجهها أثر لجرح صغير. الشبه بدیاغو موجود، ولكن عيناه مختلفتان، فهما بلون العسل القاتم،

كانتا تنتظران إليها بنھول بدءاً من منبت شعرها انتهاء بمقاس حذائهما.
- يا إلهي! هذه المرة أنت تسرق الأطفال من مهادهم؟ أهذا ما كنت تسعى إلبه... طفلة عروساً؟

فرد عليها بهدوء:

- اعترف أن هناك فارقاً في السن... ولكن سبييل ليست طفلة.
- وهل رافقتها إلى العذيب؟ أم أن زواجكما لم يجر في الكنيسة؟
فسارع باتروسما للقول:

- بل تم في مكتب تسجيل الزواج. دون ضجة أو احتفال... لهذا أردت التعريض على سبييل بهذا الخاتم الجميل.

فضحكت باتروسما بسخرية:

- جميل؟ هذه مهزلة السنة! إنك تعطيها أحد إرث العائلة... الخاتم الذي وعدت به فيرونيك يوم كانت...

صمتت باتروسما عندما رأت تقطيبة سوداء تعم وجه أخيها...
قالت بصوت منخفض:

- أسفه... ولكنني صدمت... إنها لا تتكلّم كثيراً، أليست هكذا؟

- ستصابين بدهشة أخرى... هي سبييل، قولي شيئاً لثلا تظنني متزوجاً من شقراء يكماء.

فقالت سبييل:

- كيف حالك؟

ردت باتروسما تحديها بنظرات فضولية:

- بخير... شكرأ لك... هل أنت خجولة أم خائفة من دياغو؟
يجب أن تخلصي من خجلك أو خوفك لثلا يتلعلك ثم يمسق بقاباك.

فابتسم:

- أشك في هذا. إنها طرية بحيث لا يمكن أن يبقى منها شيء

دون هضم.

نظرت إليه باتروسما متعجبة:

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

فأالتها باتروسما:

ـ وماذا حل بعملك؟ فهذا المكان الريفي ليس وسطاً تجارياً...
ولن تجدي فيه عملاً بسهولة.

كادت سخريتها تدفع سبييل إلى القول إنها حالياً تقوم بوظيفة،
هي عبارة عن دور يكاد يجمد أطراها بفضليه ودقة شراكه. الآن
جاء دورها لتنظر إلى دياغو والتوصل في عينيها... فرد بسهولة:
ـ متعدد سبييل ما يكفي لاظهار براعتها كزوجة لي. من الآن
وصاعداً ستكون سيدة هذا المنزل والمزرعة.

نظرت إليها باتروسما بسخرية:

ـ لهذا ما قاله لك؟ وهل ستقبلين بعبء مسؤولية مزرعة؟

خفق قلب سبييل وقالت:

ـ ولماذا لا؟

ـ سامحيوني على قوله هذا... ولكنك تبدين مذعورة...
وكأنما تخافين من وضع رأسك تحت المقصلة لثلا تقع وتطعمه.
ربما، بطريقة ما، هذا ما يجري لها. فجسدها يشعر بأنه ينفصل
عن تفكيرها... وهذا ما لم يحدث لها حتى لحظة التقاءها بدياغو
رومبلوس. فلطالما هنأت نفسها على تفكيرها الموزون... بعيداً
عن التفكير بأية أحداث رومانسية قد تفسد عليها حياتها.

جالت باتروسما بانتظارها في الغرفة المغيرة:

ـ هل تنوين تنظيف هذا المكان؟ وهل تعلم سبييل بأمر...؟

قطاعطها دياغو:

ـ أجل... إنها تعرف بأن هذه الغرفة كانت لشيرونيك، زوجتي
السابقة... وتعرف كل التفاصيل.

نظرت إليها باتروسما نظرة فيها قصد ما:

ـ صحيح؟

ـ والتفت إلى سبييل تشير إلى الملابس:

وقد سبّيل صامتة... فليغفر دياغو باختراع الأكاذيب، لأنها لن تختلقها.

تابعت باتروسما سبّيل:

- هل تقولون مثل هذه الكلمات في مكتب تسجيل عقود الزواج؟

رد دياغو على استلتها:

- الأمر يتم هناك بشكل رسمي أكثر... إذا أعجبك شيئاً ما فيها خلبه لأن هذه الغرفة مستُنكر تماماً من كل شيء.

- وماذا عنك سبّيل... هل أعجبك شيءٌ من هذه؟ ما رأيك بهذا... مثلاً؟

فنظرت سبّيل إلى الثوب المخمل المزین باللؤلؤ... كانت الفتاة تصفعها تحت اختبار، فعلمت أن أمامها أمران لا ثالث لهما: فاما أن تمر بهذا الاختبار... وإما أن تجري هاربة من الغرفة. بينما كانت متربدة أحسست بذراع دياغو تلتف حول خصرها. وتجلبها نحوه حيث أبقاها هكذا وأصابعه تضغط على لحمها، مرسلة إشارات تحذيرية وصلت حتى عظامها. وقال:

- سأشعل النار بهذه الأشياء اللعينة أمام «البرج».

نشر... إليه نظرة مباشرة:

- يا للأسف كانت فيرا تضع مع هذا لولزة كبيرة اذكرها تلمع على المخمل... بعض الناس ذهلوا لاختيارها باقة زهر من الأوركيديا ذات الأطراف النارية في حفلة العرس.

فرد عليها دياغو ببرودة لاذعة:

- مهما كنت تحاولين فعله باتي، فلن تنجمي... سبّيل تعرف كل الجنة والجحيم الذي مررت به مع فيرونيك.

تمتنع شقيقته:

- قصعة من الكرز المر... أرجو اشياء أحلى مذاقاً مع سبّيل؟

- وما رأيك بهذه؟... يا إلهي... لا بد أنها كلفته غلة الأرض. لم أكن أعلم أن فيرا تملك كل هذا! كنت صغيرة عندما تركت المنزل... يقول دياغو عنها أنها أجمل امرأة في الأرض من أقصاها إلى أقصاها... هل قال لك هذا؟

نزلت سبّيل عن فراش فيرونيك، وابتعدت عنه تنفس الأوساخ عن تنوّتها وتنسح الغبار عن شعرها:

- أجل... لقد قال لي كل شيء تقريباً عنها.

التقطت باتروسما أحد الفساتين، وتشتت راحتته، وقالت:

- أشم رائحة عطر... ولكنها يختلف عن الذي على الفستان... إنه رائحة زهور... فهل هي لك سبّيل؟

- إنها تشبه رائحة القرنفل. وأنا استعمل «أرماني».

فابتسمت باتروسما:

- أما راحتتي فهي عادة رائحة الخيل... وأنت محققة، إنها رائحة القرنفل... هل لدينا شبح هنا؟ ولكنني لم أحس بشبح في منزلنا من قبل... لا بد أنك أنت من شجع الشبح يا دياغو بإيقافك هذه الغرفة وكأنها غرفة «ذو اللحية الزرقاء».

فويخها دياغو:

- مهما كانت هذه الرائحة اللعينة فالشخصي صوتك ياتي... أنت تعرفين السيدة ديسون التي لا أريد خسارتها، فهي طاهية ماهرة.

فهزت باتروسما رأسها:

- اليس الرجال رومانسيون!

حركت نظرها نحو سبّيل:

- مسكينة سبّيل... معظم الفتيات يرغبن في ثوب عرس أبيض، وموسيقى، ومسيرة العروس نحو المنبع. وكلمات «الحب» و«الاحترام» و«الإخلاص» تلك ولكنها كلمات لأن النية هي الأهم.

حيث كانت تصطاد.

ووقفت باتروسما بوقاحة تواجهه:

- هذه رواية لتعميه الحقيقة... فالحقيقة الواضحة أنها جنت ووقيعت عن سلم المستشفى فلدق عنقها. أسأل السيدة ديسون! لقد عرفت القصة من الطاهية التي تعلم عند عائلة اورورد... فتحة رسالة قرأتها... صدفة أو عمداً.

تكلم دياغو بصوت خفيض، متالم، وكأنه لا يريد أن يصدق:

- لا أصدق هذا... ما كنت لأجهل هذه القصة لأنني وفرونيلك كنا مقربين جداً بحيث لن تخفي عني مثل هذا... ولكن أول من يعرف...

فقالت باتروسما بلؤم:

- بل الأخير... فقد كان آل اورورد مكتعين جداً بشأن القصة. خاصة بعد أن عرّفوا أنك ستتزوجها... فأنت وريث عائلة روميلوس الذي يريد وريثاً يحمل اسم العائلة... إنها إحدى أساطير المنطقة القديمة، التي تقول إنه لا بد من وريث مباشر للعائلة، والأرض والمنزل. لذا عندما حملت طفلك سمعت إلى اجهافه لأنها تعلم أنها تحمل بذور الجنون في دمها.

نصائح راعداً:

- هذا كلّه محض اختلاق لعين.

الفت بحالة نحو المرأة المكسورة:

- كان هناك شيء واحد يهمها... إنه سلامه جسدها ومظهرها... كانت تتزين لقتل... تتزين لتغزو، وما مزق عقلها أنها شاهدت جسدها وقد تغير مظهره. فلم تطق التغيير الطفيف الذي حل بها من جراء حمل عشرة أسابيع، أحاسيسها كانت ستجن لو أتقت الأشهر التسعة!

نادره فجأة، ثم اتجه بسرعة نحو الباب. ودفع باتروسما عن

- وهل كانت هنا لولا هذا الرجال؟

- لست أدرى دياغو... كان هناك قصص كثيرة مشوّشة...

- مثل ماذا؟

- قصة تقول إنك تخلصت منها في نوبة كراهية وحب، وإنك بقيت كل هذه السنوات دون امرأة لأنك لم تستطع تسيانها.

بدت ابتسامة ماسخة على شفتيه وهو يمررها على شعر سبييل:

- إنها قصص يا أختي الصغيرة. فكما ترين لقد اتخذت لنفسها زوجة أخرى.

حدّجتهما باتروسما بانتظارات عميقة، بعثت في قلب سبييل خوفاً لا تدري منشؤه. إن هذه الفتاة ليست أكبر منها سناً ولكن في عينيها ريبة ونفوراً.

من الواضح أن شقيقة دياغو لم يعجبها زواج شقيقتها سراً، كما يفترض، وهي تستعد لتقوس عليه، فمن وجهة نظرها، خان ثقتها به، وخان حقها في أن يستثيرها في أمر المجيء بشخص إضافي إلى عائلة روميلوس... فقالت له بنظرسة وقحة:

- هناك قصة أخرى... رواها لي صديقك فرنساوا ثروب، الذي سمعها عن أمها... تقول إن فيرونيلك جي، بها من غريزتوب على سفوح الألب، لتعيش مع ابناء عمها هنا، لأن أمها ماتت في مصح عقلي عندما كانت هي في الثامنة عشرة من عمرها... وإن كانت هذه القصة صحيحة فلا عجب إذن... حسناً... من الواضح الآن أن لها أسباباً دفعتها إلى الخوف من أن تمر بما مرت به أمها... وهذه الأشياء وراثية...

садهـما صمت وسكون، ثم أحسـت سبيـيل بأن ذراع ديـاغـو ترك خـصـرـها، وتبـعدـ عنها سـائـلاـ بـاتـروسـماـ:

- متى سمعـتـ هذهـ القـصـةـ بـحقـ الجـحـيمـ؟ إنـهاـ كـلامـ هـراءـ! أحـادـيـثـ خـدمـ... والـدـتهاـ مـاتـتـ منـ جـرـاءـ سـقـوطـهاـ عنـ ظـهـرـ فـرسـ

وسمعت لهجته المقاتلة، والعقاب في صوته وهو يتحدث عن عودة فيرونيك لتعذبه من جديد... ووجدت نفسها تأسّل باتروسما:

- هل تلك القصة عن والدة فيرونيك صحيحة؟

بذا القلق على باتروسما:

- اعتقد هذا... ما كان على أن أرميها في وجهه بتلك الطريقة... ولكنني كنت متورّطة الأعصاب بسبب زواجهما... لقد نزع في... تعلمين ما أقصد... كان الأمر مقاجعاً.

وعضت على شفتها... فشردت نظرات سبييل... إنها بطبيعتها تعد يد المساعدة لكل من هو في مأزق... ولكنها أحست بمشاكل مثلاطمة في هذا الرجل الذي عصف لتوه خارجاً من هذه الغرفة، ووجدت نفسها معززة بين الهروب من هذا المترّل قبل أذية نفسها وبين تركه يكتب يديها. لم تواجه من قبل مثل هذه الورطة...

ثم سمعت شقيقته تحل لها بعضاً منها:

- استطيع فهم لماذا يحتاجك دياغو يا سبييل... إنه رجل صعب المراس. ولكن في بعض الأحيان... كيف أصف الأمر؟... صعب المقاومة؟

تهنّدت سبييل، فلو غادرت الآن. فلنعرف نتيجة ما سيحصل، ولكن إذا بقيت فستخوض أكبر مخاطرة لها في حياتها. رمت باتروسما الفستان المحملي الذي كانت تمسك به وقالت:

- دعينا ننقدّر هذه الغرفة المغبرة الشبيهة بغرف الموتى، ولنذهب لتناول القهوة.

اتجهنا إلى غرفة الزهور ثانية... حيث جلست باتروسما على كرسي من الخيزران، ووضعت ساقاً فوق ساق قائلة:

- إنه ليس من الرجال الذين قد يرغبون في زوجة عاملة. أنعرفين هذا.

ما تعرفه الآن جيداً، أنها تركت الجميع يؤمن بأنها متزوجة حقاً

طريقه وهو خارج، وقال:

- شخص ما من متزل اورورد كان يكذب بشأن أمها. شخص ما أراد أن يسود سمعتي. خاصة بعد أن كانت سيدة المتزل هنا ثم انتهى كل شيء. هم من ذهبوا إلى الشرطة لاتهامي... اتهامات جسيمة لا أساس لها... كما تبين!

وقف عند الباب للحظات، نظر إلى سبييل وكأنه يراها عبر الضباب، ثم نظر إلى باتروسما بغضب:

- لقد قامت فيرونيك من بين الأموات يا اختي الصغيرة. وقد تعود في أية لحظة، لتصطيخ وجوه بعضهم خجلاً! ففيرونيك لم تكن مستلقية في قاع المستنقع طوال هذه السنين... بل كانت مستلقية في فراش رجل آخر!

بعد هذه الكلمات انقضى... تاركاً صمتاً رائعاً عاصفاً خلفه... وكان أول ما تصاعد إلى ذهن سبييل: يا إلهي!... يجب أن أغادر هذا المترّل... فوراً!

تقدّمت باتروسما منها لتضع يديها على كتفيها:

- تدين بيضاء من الشحوب... أنا أسفه لما أظهرته من وحشية معك. ولكن الصدمة كانت قوية لي. أعود من سفري فأجد شقيقتي قد تزوج من امرأة غريبة. كنت أعلم أن في حياته امرأة ما... ولكن كان يجب أن يتقى بي... فانا شقيقته، التي تهمها مصلحته.

حدّقت باتروسما جيداً في وجه سبييل:

- هل أنت واقعة في حبه عميقاً؟

أجفلت سبييل وكان معدنا ساخناً لمسها فقالت باتروسما:

- أسفه على الخوض في مشاعرك الخاصة. ولكنك لا تدين من يتزوج رجلاً دون أن يكون مهتماً به كثيراً. أعلم أن العال والمركز لهما تأثيراً... ولكن... تدين... مختلفة.

في عقلها الباطني، شاهدت سبييل ثانية وجه دياغو المفروم،

البريات، يتأذين بسهولة سبييل... فاحذر!

- ومن سبييل؟

- ومن يؤذينا عادة؟

- الأقرب إلينا.

- بالضبط.

فقالت سبييل بصدق صرف:

- أحياناً نحس بالقناعة مع ما يثير فينا الأسى.

- أنت من يهوى الشهادة... هذا ما أنت عليه سبييل؟

- هذا ممكن...
- الحب أحياناً نيران تحرق القلب... وأخي رجل عميق وعنيف

فاحذر.

- هل هو يعمق المستنقع المتحرك؟

- تعرفين هذه القصة. قصة السوار؟ لقد بدا الأمر يومها وكأنها

ذهبت وحدها أو أن أحداً أخذها إلى هناك ليرميها في المستنقع.

دياغو كان ممن شارك دائمًا في سباتات الجري في الحقول، لذا لم

يستغرب أحداً أن يتمكن من حمل امرأة ورميها في المستنقع...
والمستنقع الذي في أراضينا معروف بعمقه وكثيرة ما ابتلع الحيوانات

والجياد.

احت سبييل بالشعريرة:

- وهل صدقت أن أخاك قد يرتكب شيئاً كهذا؟

- شف آل روميلوس ليس مثل الحليب والماء سبييل. ألم

نكشف عن هذا بعد؟ لا تقولي لي إن شهر العسل لم يبدأ بعد؟

- لقد بدأت تخوضين في شؤوني الشخصية...

- أنت تحمررين خجلاً... هذا ما يجب عن سؤالي... يا إلهي

لقد أثر فيك... فيرا كانت تسيطر عليه ولا أحبك قادرة... كانت

ندا له في كل شيء.

من دياغو وهي الآن عالقة بين خيوط فخه... ومضطرة لإكمال دورها.

- يجب أن أعترف لك أنتي لم أصل إلى وفاق كامل مع الرجل الذي وضع هذا الخاتم في يدي. لقد اختطفني عن الأرض... ولم يدعني بعد إليها.

- أنت مختلفة في كثير من الوجوه عن فيرا... هل تعانين لو ذكرتها أمامك سبييل؟

- إنها جزء من تاريخ هذا المنزل...

نظرت إلى المنزل العتيق العبني من حجارة التاريخ، بجداره الشامخة وأبراجه المخيفة، المكان وأهله متجانسان مع وحشة المرrog والمستنقعات. مع الصخور الصلبة والأشجار الغربية التي تشبه في شكلها شكل التنين... خلف الشرفة شاهدت رقعاً ضخمة من أشجار الوزال الذهبية اللون... بينما طار فوق الرؤوس طير يشبه الصقر فعام فارداً جناحيه تجاه السماء.

حملقت سبييل بالصقر الذي راح يبتعد إلى ما وراء الصخور الشديدة الانحدار والتتواء الصخرية لهذه الأرض الأسطورية التي ولدت الكثير من المشاعر القوية التي قد تولم وتطارد الناس الذين يحسنون بها.

مررت باتروسًا أصعبها على ندبة الجرح في خدها:

- الصقر يبحث عن فريسة له... أتعلمين هذا؟ إنه يفترس أي شيء يلتقطه بمخالبه. ما عدا ريش فريسته الذي يبدده في الريح.

فنظرت إليها سبييل وسألتها ببطء:

- وهل تظنين أنتي كنت فريسة سهلة لأخيك؟

فهزت كتفها:

- في الرجال حيوانية تجذب أكثر النساء خجلاً... كما تجذب الواقع منهن. ولكن الفتيات اللطيفات،

- لأنها حقيقة.
 - ولكن ما من رجل يستحق أن تقتلني نفسك من أجله... ربما
 صديقتك كانت هستيرية!
 - لا بل رومانسية.
 - ربما هذا اسواء... ربما حاجتنا لمن يحبنا تمسك بخناقنا.
 ولم ترد سبييل على هذا... بل امتدت يدها إلى عنقها وكتأها
 تحمي... ثم حدقت إلى باتروس... وقالت بصوت منخفض
 والتقطالية تشتد بين عينيها:
 - لقد جئت لترمي بيديك إلى التهلكة... خاصة إذا كانت
 فيروننيك عائدة إلى هنا. أجل... والله... ألهذا السبب تزوجك؟
 - بإمكانك القول... إن هذا سبب وجودي هنا.
 - أجل والله!

www.liilas.com

Aml

- ولكنها لم تتمكن من المحافظة عليه... فلقد خططت خطة
 أوسع من قدرتها فوقعت ودقت عنقها على يده.
 - لقد فعلت ما يتوجب عليها... لو كانت أمك مجنونة، فهل
 كنت تريدين انجاب طفلك؟
 - لم يثبت أن الناس يجتون بفعل عامل الوراثة. فالآمور التي
 تحدث لنا في حياتنا هي التي تدفعنا للجنون. وأظن أن فيروننيك
 كانت طموحة وأنانية، وواثقة جداً من نفسها.
 - من المحتم أن تحس بالغيرة منها... فليس لك سحرها أو
 فتنتها... كانت تفتن الطيور على أشجارها... وفي أحد الليالي
 برحت ذلك حين قلدت العندليب في غناه فلتى مجيما فورا... لقد
 خدعته تماماً. كانت محظاة رائعة.
 - إذا كانت ذكية فلما أخبرت دياغور أنها أجرت عملية إجهاف؟
 كان لها أن تدعى عدم الإجهاف، أو أن حملها كان زائفًا... هذا
 إذا كانت فعلاً تخاف على صحة عقل الوليد.
 لم تستطع باتروس أن ترد... فتابعت سبييل:
 - كل ما في المسألة أنها متعرجة، ظلت أنها قد تنجو بأي شيء
 تفعله... ولا بد أنها اعتتقدت أن حب دياغور لها لا قرار له. ولكن
 الحب في الواقع هو شعور ترضي به النفس. وجزء من النفس
 البشرية لا تطيق زعزعة صورة المثال الذي تضعه على الرف في
 القلب. قد نحب شيئاً حطمناه... ولكننا نعرف جيداً أن ما حطمناه
 تبعثر إلى الأبد...

- إذن ستعيشين مع دياغور رغم علمك بمعبه لها؟
 - سأكون صريحة معك باتروس... شقيقك يحتاجني، لذا
 تريني هنا... فأننا لا أتق بالحب. فلقد عرّفت فتاة قتلت نفسها من
 أجل رجل أحبته كان قد غدر بها.
 - إنها قصة حزينة.

المسك به. يجب أن لا تقع الكأس من يدها... فهي من الكريستال الحقيقي، كذلك السراج الكريستالي الذي هزته نسمة هواء خفيفة... قالت:

- إلى أكبر حماقة بشرية.

احسنت برعثة انتصار بعد أن وضعت الكأس بين شفتيها ترشف منه جرعة كبيرة. وعندما اعادته إلى الطاولة ما عادت تحس بالتوتر. فاكملت طعامها وهي تنهي نفسها لأنها قدرت على إمضاء السهرة بعزم زائف نوعاً ما.

ولكنها لم تشعر بالراحة الحقيقة إلا بعد أن أوت إلى غرفتها...

نظرت إلى الكرسيين الموجودين في الغرفة، أحدهما قرب السرير، والآخر قرب النافذة... بدا لها أن من الأسلم وضع أحدهما وراء الباب... وكادت تفعل... ولكنها أدركت أن مثل هذا لن يمنع دياغو روميلوس من الدخول لو أراد.

نظرت إلى المرأة... ثوبها أبسط ما فيها والخاتم العاسي أغلى ما تضعه. تأملت العاسة المركزة على الذهب، ومررت أصبعها على أطرافها، التي بدت متألقة كجمير يوشك أن يلذع إصبعها.

زوجة مزيفة يجب أن تضع خاتماً مزيفاً... للمرة الثانية اتجهت عينها نحو الباب الذي يصل غرفتها الكبيرة المريحة بتلك التي تضم فراش دياغو. أحسنت ببرقة في ركبتيها. أكان سيدياً مهنياً أم لا... فهو ما زال أكثر جاذبية من كل من قابلتهم من الرجال ولو اختار أن ينسى أنها زوجة بالإيجار، فلن تستطيع فعل شيء لتحمي نفسها منه. دخلت الحمام، تعرّت واستحتمت، وفركت أسنانها، ثم ارتدت غلالة نومها وخرجت من الحمام تضع المنشفة على رأسها لتجفف شعرها. كان أول ما طالعها قدمان تتعلاً خفافاً جلدياً تقفان قرب النافذة. أبعدت المنشفة عن وجهها، ثم حدقت إلى الجسد الطويل

٧ - لليل قصة أخرى

جلست سبييل على مقعدها ذلك المساء في غرفة الطعام المقاطنة بورق الجدران المرسوم عليها رسماً صينياً. في هذه الغرفة سجادة شرقية تكسو الأرض رائعة وطاولة من خشب الورد عند الزاوية ديكريامي محفور عليها يدوياً، تتوسطها باقة زهور بيضاء برأفة تحت شمعدانات كريستالية معلقة.

بدأ دياغو السيد المسيطر في ثياب السهرة... وعندما ابتسם من فوق أدوات الطعام الفضية والكريستالية والصينية الفاخرة... أحسنت به في قمة تمثيله:

- التقليدي كأس شرابك سبييل... لشرب نخبنا.
لكن الكلمات خرجت منها دون إرادة.

- ثم نرمي الكزووس في النار؟
ربما هذا هو الأنسب لكن هذه الكزووس يتجاوز عمرها المئة عام.

ورفع كأسه:
- نخب الحب الذي يُعدُّ أكبر حماقة بشرية على الأطلاق...
ومع ذلك فالحياة قد تكون مميتة دونه.

نظرت باهتماماً مباشرة إلى سبييل تراقب وجهها، ثم قالت:
- نخب الحب!
ورفعت سبييل كأسها، وهي تحس بتوتر يُوهن معصمها

الملتف بروب النوم والذعر ياد في عينيها.
قال لها:

- هذا صحيح... إنهم تغيران لونهما حسب مزاجك، فهم
الآن خضراء وصفراوan.

فشهقت:

- أنت... أنت... لا يجب أن تكون هنا.

- إنه متزلي يا مسييل!

- ولكنني لست لك!

- أنتيني أنتي هنا... لأطالب بحق السيد؟

- وماذا تريدين إذن... لقد أقينا تعية المساء.

فرد بسخرية:

- أمام شقيقتي؟ اسمعني يجب أن نوضح بعض التفاصيل. لذا
توقف عن النظر إليّ وكأنني خرجت من مركب قرصان يوشك على
تمزيق غلالتك بغية اغتصابك.

- لا... يمكن أن نتحدث في الصباح؟... أنا تعبية و...

- في الصباح يمكنك البقاء في الفراش حتى الظهر... وهذا أمر
طبيعي.

حدقت إليه تحس بضررية التوتر في قلبها، لما تعنيه كلماته:

- وعليه... سيكون جزءاً من الترتيبات أن أدخل إلى هنا لأنكم
لكل اهتمام الرجل العادي بزوجته الشابة. لن يصدق أحد أنني لن
أفعل هذا... لذلك جئت إلى هنا لأقول لك إنني كل صباح،
سأدخل لأنفسك إليك في الفراش... .

- لا لن أقبل بهذا!!

فرد ب بكل:

- ليس لديك خيار آخر يا عزيزتي... لديك فراش واسع يتسع -
لاثنين.

- أنت تحاول التلاعيب بي...
واستدار ليواجهها، ويداه في جيبي روبي:

- لا يا مسييل. لقد وافقت على التامر معه ليظهر الأمر وكأننا زوجان وبما أن الخدم يتكلمون، أريد أن يتشر الخبر في المنطقة التي تزوجت من عروص شابة، أفضي معها شهر عسل، فإذا شهدت في سريرك عند الصباح، وتناولت الفطور معك، فسيتبارد إلى الأذهان أنتي أمضيت الليل كله معك... وجئت لأعلمك بهذا استعداداً للصباح.

نظر إليها مقطعاً:

- بالله عليك يا طفلة... هل يجب أن تنظرني إليّ وكأن ما أقوله هو قمة الوقاحة؟ أنا مأدخل إلى هنا، أخلع الروب، وأدخل الفراش إلى جانبك. ثم أقرع الجرس ليحضرروا لنا الفطور... والمنظر سيكون أساساً جيداً لأقاويل كثيرة في المطبخ.

فردت متحدية، وشعرها المبلل يتدلّى فوق عينيها.

- لن أفعل هذا! إذا كنت تتوقع مني التمادي إلى هذه الدرجة، فانت تخطي! فليس من الصواب أن...
خطا نحوها بغضب مقاطعاً:

- بحق الجحيم! لا تكوني غبية لعينة متربة... فلن أضع يدي القاسيتين على جسدك الشمين... وكانتني أرغب في هذا! في هذا الثوب تبدين مغربية كخروف هزيل... لذلك اعتبرني نفسك سالمة من نوایاكي الخبيثة، إذا كان هذا ما يرجف ساقيك!

- أنا لست...

- أنت كاذبة ومتزمرة أيضاً... ألم يغازلك رجل أو يعانقك؟
ربما أنت بحاجة لهذا... من قال تلك الجملة عن ان العذاري الطاهرات يخفين نارهن وراء واجهة من ثلج؟

- إن قاتل هذا القول أبله... فالنار والثلج لا يتجان سوى بركة

كبيرة من الماء. أرجو لا تبللني!

ضياقت عيناه ببطءٍ عليها:

- مبللة قليلاً عند الأطراف فقط... أنت سالمة يا سبييل.

- أعرف هذا، وهذا ليس بجريمة.

- ولكنه يجعلك تخشين الواقع.

- كلام هراء...

- صحيح يا سبييل؟

تقدم نحوها فارتدت مذعورة.

- أرأيت... أنت خائفة مني لأنني حقيقي لا حلم... أبدأ لن
تعرفي ما قد أقوم به.

- إن لمستني... صرخت...

- لن يسمعك أحد... فتحن هنا في عزلة في برج المركز
الأسود هذا ذي الجدران الغرانية السميكة أضيعافاً عن المباني
العادية.

- اووه... لن أبيقي هنا لأنتحمل كل هذا...

- بالطبع ستبقين! ما من أحد كلمك بهذه الطريقة من قبل،
لذلك أنت متورطة.

- هذا ليس صحيحاً!

- أليست صحيحة سبييل؟

- أنت تهيني بإشارتك إلى أنني اتمتع بهذا الوضع... أنا...
أنا أقوم بدوري سعيًا للمال.

- صحيح... وأنا أريد ثمن ما أدفعه... ولا أقبل مطلقاً بعمل
غير مخلص مني أو ظففهم... هل هذا مفهوم؟

- أجل...

- إذن... لن نجادلني بشأن تناولنا الفطور كزوجين
عاشقين... هل تجادلدين عادة مع مدير المكتب الذي تعملين فيه؟

- إذا كان الأمر يتعلق بنوعية العمل أجل، أجادله.

ليس من السهل علينا تحدي هذا الرجل المدید القامة القادر
على انتقامتها عن الأرض يد واحدة ليهزها بقوة...

- ولكنني مصر على موقفى... فعندما تعود فيرونيك، أريد أن
يكون معروفا لدى الجميع أنني غير مهم بها... وهذا ما يجب أن
يستجوه، كما استنجدوا من قبل، بمن فيهم شقيقتي، ابني قتلتها في
نوره غضب حب مجئونا!

هل يظن حقاً... انه قادر على مقاومة فيرونيك لو عادت
لطالبه؟

نظر إليها، فشاهدت الذكريات تذيب الذهب في عينيه...
سألها بحيرة:

- هل سترفضيني سبييل؟ ألا ترين أن جزءاً من الاتفاق هو أن
نظهرى معي في مكان تعتبره فيرونيك مركز سيطرتها؟ لا يكفى أن
نظهرى في منزلنا. أريد ان يشاهدك الناس... شابة شقراء ساذجة.
أريد أن يتخيلاوك بين ذراعى... مع كل ما تشمل هذه الكلمة...
أنا أريد هذا ولا أقبل الرفض!

أخذت سبييل بالتوتر في كل عصب من جسدها:
لز... لن تلمسنى...

لن أمس أصابعك حتى.

- فقط... فقط لتناول الفطور...

- فقط لتناول الفطور سبييل.

- حسناً... ولكن إذا تجرأت على تخطي وعدهك... بعدم...

عدم لسمى فساترك... هل اتفقنا؟
- اتفقنا.

- اعطيوني وعداً؟

- يا فتاتي العزيزة... هل لديك عقدة ما؟ قد ألامس ذراعك

للا بد أن يكون في دمي بعض من دم تركي كذلك.
 - حتى من نبك تهز؟... لا عجب إن كان زواجك كارثة.
 - لن تلوميني على هذا... بتأ!
 سادهـما الصمت فراقتـهـ سـيـيل يـمسـك باـحدـى قـوـائم السـرـير
 الأربـعة بـقوـة حـتـى ايـفـست عـقد أـصـابـعـهـ. وأـخـيرـاـ قالـ:
 - قد تكون تلك القصة عن أمـها صـحـيـحةـ. فقد كان فـيـروـنيـكـ
 اـطـبـاعـ غـرـيـيـةـ مـتـهـورـةـ. وـكـانـ تحـبـ خـدـاعـ النـاسـ.
 - وـأـنـتـ الآـنـ تـقـومـ بـخـدـاعـهـ؟
 - يمكنـكـ قولـ هـذـاـ... لـنـ أـدـعـهاـ تـفـسـدـ حـيـاتـيـ منـ جـديـدـ.
 - وـلـكـنـ قـدـ لاـ تـمـكـنـ منـ مـنـ نفسـكـ.
 - لهذا السـبـبـ أـطـلـبـ مـنـكـ العـونـ سـيـيلـ.
 - لاـ أـعـقـلـنـيـ المـنـافـسـةـ التـنـدـ لـهـاـ.
 - وهـلـ هـذـاـ صـحـيـحـ؟
 مدـ يـدـهـ نحوـهاـ فـاجـفـلتـ كـقطـةـ مـذـعـورـةـ. وـلـكـتهـ دـفـعـ أـصـابـعـهـ فيـ
 شـعـرـهاـ وـقـالـ:
 - أـنـفـصـهـ لـأـرـىـ إـذـاـ كـانـ قـدـ جـفـ... إـنـهـ بـنـعـومـ الـحرـيرـ...
 ولكنـ لـمـاـذاـ قـصـصـتـ كـقصـةـ صـبـيـ.
 اـشـعـرـ جـلدـ شـعـرـهاـ، وـشـارـكـهاـ فيـ هـذـاـ كـلـ عـصـبـ فيـ جـسـدهـاـ.
 - اعتـقـدـ أـنـ شـعـرـ فـيـروـنيـكـ كانـ طـوـيـلاـ!
 - طـبـعاـ... كـانـ فيـ الفـراـشـ ليـلاـ يـسـرـسلـ حـولـ رـأـسـهاـ وـكـانـ
 شـعلـةـ نـارـيةـ.
 - وهـلـ كـانـ شـعـرـهاـ أحـمـرـ؟
 - أحـمـرـ كـائـنـيـ الثـلـبـ.
 - وـعـيـنـاهـاـ خـضـرـاءـانـ؟
 - أـجلـ سـيـيلـ... وـلـكـتهـمـاـ كـانـتـاـ عـكـسـ عـيـنـيكـ، عـمـيقـتـينـ
 متـوحـشـتـينـ كـعـيـاءـ الـأـطـلـسـيـ الغـادـرـةـ.

عندما أـمـدـ يـدـيـ لـأخذـ الخـبـزـ مـثـلـاـ... فـهـلـ سـتـحـاسـيـتـيـ عـلـىـ ذـلـكـ؟
 - لـسـتـ أـعـنـيـ... هـذـاـ... النـوعـ مـنـ الـمـلـامـسـ؟
 - وـأـيـ نوعـ تعـيـنـ؟
 - أـنـتـ تـعـرـفـ جـيـداـ.
 - أـتـعـيـنـ النـوعـ الـحـمـيمـ هـهـ؟ ذـاكـ الـذـيـ يـُعـدـ مـقـدـمةـ لـشـيـءـ آخـرـاـ
 فـأـحـمـرـ وـجـهـهـاـ وـأـبـعـدـ عـيـنـهـاـ عـنـهـ.
 - أـعـلـمـ أـنـكـ تـعـتـرـبـنـيـ مـتـزـمـتـةـ... وـلـكـتـيـ أـرـيدـ مـنـكـ وـعـدـاـ...
 هـذـاـ كـلـ شـيـءـاـ!
 - كـلـ مـاـ سـأـعـدـكـ بـهـ هوـ أـنـ تـتـوقـعـيـ مـنـيـ التـصـرـفـ كـرـجـلـ مـنـ عـائلـةـ
 روـمـيـلوـسـ. وـلـكـنـ أـخـشـ أـنـ نـكـونـ مـنـ النـوعـ الـخـطـرـ. وـالتـغـيـرـ لـيـانـيـ
 بـسـهـوـلـةـ لـرـجـلـ يـنـحدـرـ مـنـ سـلـالـةـ طـوـيـلـةـ مـنـ النـبـلـاءـ.
 - حقـاـ...؟ أـنـتـ مـنـ النـبـلـاءـ؟
 - حقـاـ يـاـ سـيـيلـ... أـلمـ أـقـلـ لـكـ إـنـكـ الآـنـ فـيـ بـرـجـ الـمـرـكـبـ
 الـأـسـدـ؟ أـتـحـسـيـتـيـ أـنـطـقـ بـالـهـرـاءـ.
 - هـذـاـ مـاـ ظـلـتـ...
 - عـائـلـتـنـاـ تـعـودـ فـيـ جـذـورـهـاـ إـلـىـ زـمـنـ سـحـيقـ، بـعـضـهـمـ كـانـ يـعـملـ
 قـراـصـيـنـ يـسـافـرـونـ إـلـىـ بـرـيطـانـيـاـ وـإـسـبـانـيـاـ فـيـ ظـلـامـ اللـيـلـ فـيـ سـيـيلـ تـهـرـيبـ
 الـجـلـودـ وـالـشـايـ وـالـسـكـرـ وـالـتـبـ... وـكـانـواـ يـمـتـعـونـ بـالـتـسـلـلـ مـنـ أـيـديـ
 رـجـالـ الدـوـلـةـ.
 تـفـرـسـتـ فـيـ وـجـهـهـ فـيـ ضـوءـ الـمـصـبـاحـ الـأـصـفـرـ ثـمـ سـأـلـهـ:
 - وهـلـ فـيـ دـمـ إـسـبـانـيـ؟
 - هـذـاـ مـاـ تـجـدـيـنـهـ فـيـ كـلـ الـعـالـلـاتـ الـتـيـ تـقـطـنـ السـواـحلـ... هـذـاـ
 عـدـاـ الدـمـ الـعـرـبـيـ وـالـتـرـكـيـ. فـنـحـنـ عـلـىـ سـواـحـلـ الـأـطـلـسـيـ، كـنـاـ تـحـتـ
 رـحـمـةـ سـفـنـ الـقـراـصـيـنـ. وـمـنـذـ زـمـانـ سـحـيقـ خـطـفـتـ فـتـاةـ مـنـ الـعـائـلـةـ،
 وـأـرـتـحلـ اـخـرـيـهـاـ بـحـثـاـ عـنـهـاـ إـلـىـ أـنـ وـجـدـهـاـ فـقـدـ قـدـيـتـهـاـ وـعـادـ بـهـاـ...
 تـحـمـلـ طـفـلـاـ... أـنـجـيـتـ فـتـرـعـ عـلـىـ أـنـهـ مـنـ أـصـلـ الـرـوـمـيـلوـسـ...

يدعونك مجرماً.
ـ لا... ولكتسي كنت أعلم الحقيقة، كما تعرفين حقيقة
نفك... وستتعلمين درساً مهماً أن ليس من الفضولي أن يحبك
الناس.

ـ هذه وجهة نظر ساخرة.
ـ أنا لم أقل ان الحب ليس ضرورياً... فهذا أمر مختلف.
شاهدت سبييل في وجهه اختلاط السلالات الغربية القديمة، مع
العجرفة الموجودة لدى رجل ولد في هذه الأصقاع الموحشة، التي
كانت لأجيال بعيدة معقل لعائلته... حيث كل ابن يخلف أبيه
ويحمل لقب المركيز.

ـ خرجت منها كلمات من كل قلبها:
ـ أنا بعيدة لأنني لست زوجتك!
ـ شكراً
ـ أنت تعرف ما أعني...
ـ لكل منا تفسيره الخاص... هه؟ لا تقارني نفسك بثيرونيك
إذا كان هذا ما تقصدينه.

ـ كان لكلماته لمسة سوط أجهلها وكأنه حقاً يلسع جلدتها.
ـ ولكن الناس سيقرونوني بها، متسائلين عما ترى في من
ميزات مختلفة. أخبرتني باتروسما أنك قلت عنها إنها أجمل
مخلوقات الله.
ـ صحيح... فيها كل ما يثير الرجل، وما يرسله إلى
الجحيم... ولأنني أريد الخلاص من الجحيم سأكون ملعوناً لو
خاطرت برحالة أخرى!
ـ فجأة ذهبت كل عجرفة فيه، فحمل سبييل بين ذراعيه وسار بها
إلى السرير. عندها اجتاحتها الخوف، فصرخته وأصابت فكه بلكرة،
ذكانت قوية إلى درجة المتها أكثر مما المته.

نظر إليها بتمعن وكأنه يقارنها بها... بالمرأة التي عرفها...
ومع ذلك لم يعرفها إطلاقاً... حاولت ألا ترتجف وهي تحس
باصابعه تسليلاً إلى مؤخرة عنقها، وتضغط، بشكل مهدد تقريباً.
أسك بذقتها فكان كل ما استطاعت التركيز عليه هو وجهه
الأسم ونظرة الساخرة قليلاً في عينيه متسائلة. وسألها:
ـ ألا ترغبين في حب جائع لرجل؟ أم أنك لا تعرفين بعد ما
تريددين حقاً؟

ـ أعرف جيداً ما أريده... أن أكون ناجحة في عملي.
ـ ولكن هذا لا يمنع الرغبة في الحب؟
ـ لا يمكن للمرء إعطاء إخلاصه لأمررين معاً... والعمل
مطلوب.

ـ أكثر من الزوج؟
ـ لن تفهم ما أعنيه.
وقفت متوتة بين يديه... تحس بشدة أن كل ما يخطيها هو
ثوابها الذي قد يستطيع اختراقه بلمسة من يده... كادت هذه
الفكرة تشعل جسدها.

ـ هل فهمت الان لماذا أريد جعل الأشياء أكثر وضوحاً?
ـ بأن تشاهد في... فراشي؟
ـ بالطبع.

ـ هذا لن يشير إلا إلى انتقام معاً... وأنت بهذا لا تهم إذا لم
يقتتن الناس بزواجهنا.
ـ وهل تمانعين؟
ـ ليس بالطبع، لكن هذا سيسهل إلى سمعتي متى انتهت
 مهمتي.

ـ وهل لهذا أهمية؟
ـ أنت لم تحب التشهير بسمعتك... إذ لم تجد لطفاً في أن

- انزلني

- هذا ما سأفعله!

أنزلها من بين ذراعيه إلى السرير ثم وضع الأغطية وانحنى فوقها
تسخر عيناه من ارتباكتها.

- فيك سحر ماذج خاص يا عزيزتي . ولكنني لن أفسد فرحي
في تناول فطور معك . فسأتركك لنوم مريض ... وسأعود في
الصباح .

ابتسمت عيناه بخبيث وهو يمسك بيدها ويرفعها إلى قمه ليقبلها .
- أحلام سعيدة مسييل .

راقبته يتجه إلى الباب الموصل إلى غرفته ، حيث وقف في
تصب عيناه عليها ، وكأنما يتذكر فتاة أخرى تجلس مكانها ، فنادى
ذات شعر يحيط به لهب ناري . عندما أغلق الباب خلفه ، ارتدت إلى
مسييل أنفاسها تدريجياً ، بعد فترة تركت رأسها يمترخي فوق
الرسادة ... ولكن ... مضى وقت غير وجيزة قبل أن تستجمع
شجاعتها لتطفي المصباح الذي تركها في ظلام دامس ، يتناهى إليها
رائحة السيكار من الغرفة المجاورة .

استلقنت هكذا ، تراجع كل ما قالاه لبعضهما ... فكان أن
استخلصت من كل ما قاله حقيقة واحدة ... إنه ما زال غارقاً في
حب فيرونيك المتوجهة .

• • •

Aml

٨ - مهمات الألم

استيقظت مسييل في الصباح على أشعة الشمس المتسللة
عبر أسلاك الشباك الناعمة فوق سريرها الكبير المرريع . حالما فتحت
عينيها ، أحست بالتوتر لأن دياغو قد يدخل من الباب في أية لحظة ،
ربما مشتعل الشعر ، ربما مرتدياً روبياً أسود مفتوح عن صدره الأسمر
حيث يتشرّد الشعر الأسود فوق عضلات قاسية ويهبط تدريجياً نحو
المعدة .

لقد مضى الآن ثلاثة أيام على انضمامه إليها كل صباح لتناول
الفطور ... ومع ذلك ما زالت تحس بالتوتر كلما افتح الباب ،
وخطا خطوة واسعة نحو السرير . كان يرمي ببروبه إلى الأرض
ويتسلل إلى جانبيها تحت الأغطية ... لقد شكت في أنه ينام في
فرشه عارياً كما ولدته أمه ... ولكن وفاته بوعده ، كان يرتدي
سروال البيجاماما كي يظهر وجوده في السرير أمام الخدم حمياً .

انتشرت شمس الصباح حول الغرفة وكأنها تبحث عن مكان
تعكس فيه فوق الفراش النعامي اللامع الأثري ، وعلى أطراف زجاج
وعاء البويرة المكسور وعلى الفرشاة الفضية الخاصة بآم دياغو التي
قال إن بإمكانها استخدامها .

افتضرت مسييل أن أمه ميتة كأبيه الذي قتل خلال الحرب . كان
أبوه قد مات تحت التعذيب لأنه رفض أن ينشي اسم شركائه ، وقد
ذكر لها دياغو أن اسم والده محفور على نصب تذكاري للشهداء

الرفيق... ربما لأنها كانت تعتقد أن دياغو كبير وقوى قادر على مواجهة الحياة أو لأنها رأت في ابنها الأصغر الحاجة إلى الدعم... وقد ظهر لسييل أن دياغو أحب أمه بصمت... والدليل الثابت على ذلك زواجه من فتاة تشبهها.

بقيت سبييل مستلقية في فراشها تفكّر في كل هذا إلى أن ادركت نجاة أن دياغو تأخر بالدخول لتتناول الفطور هذا الصباح. والباب الذي انفتح لم يكن بابه... بل باب دخلت منه خادمة تحمل صينية أصغر من المعتادة، عليها فنجان شاي واحد. عندها احست سبييل بتوتر ما في الجو.

- صباح الخير سيدتي!

كان لا بسامة جيزيل، الخادمة، ابنة السيدة ديسون الطاهية، غمازتان كبيرة في خديها، ووجهها دائم الاحمرار من الصحة والمرح. كان الجميع يناديها «خوخة» والاسم يناسبها تماماً...

ووضعت قوائم الصينية فوق ركبتي سبييل:

- إنه يوم شرق رائع... وصيادو الأسماك متशرون بعراقبهم على الساحل حول العيناء وبإمكان سماع النورس فوقهم، يصبح بجشع وجوع!

صبت سبييل فنجان الشاي واضافت الحليب والسكر... لا بد أن هناك شيئاً معقولاً لغيب دياغو عن الفطور ذلك الصباح. أرادت أن تسأل «خوخة»... ولكن سبييل منافياً للعقل أن لا تعرف زوجة مكان وجود زوجها.

- ماذا أحضرت للفطور؟

رفعت الغطاء عن طبق فكشفت عن توست فرنسي شهي ويصنف مقلية مع اللحم.

- همم... يبدو لذيداً...

وقفت جيزيل تحدق إلى سبييل التي بدت خائفة في ذلك السرير

ونظرة كثيبة إلى عينيه كشفت لها أن امه انضمت إلى راهبات الكرمل... وكان قد روى لها القصة تحت صورة كبيرة لها في الغرفة الكهرمانية التي تستخدمها العائلة غرفة جلوس. وقال إن ماري روميلوس كانت متوجهة صلبة الإرادة كزوجته السابقة. وإن موت زوجها سبب لها الإحباط، ولكن لم يخضع روحها المتمردة، وما أخضع تلك الروح كان موت شقيقه الأصغر، الذي كان في سن الثانية في جامعة الجوزيت تلبية لنداء الكهنوت... وفي إحدى الأمسيات خرج للتزهّة مع أصدقائه الذين أغروه بزيارة أحد الأماكن المشبوهة حيث داهمتهم الشرطة وهكذا طرد الجميع من الجامعة.

كان جان يومها في السابعة عشرة، أذهله ما حدث أشد الذهول لأنه يخالف تماماً المبادئ التي نذر نفسه لها... فكان أن سار فوق خط السكة الحديدية، حيث صدمه القطار.

كادت صدمة مقتل جان تقتل ماري روميلوس... التي كانت تحب الولد الأصغر الأقل سلطة من دياغو، والأكثر أناقة في المظهر، كان شاباً يافعاً مسالماً يأخذ كل شيء بإخلاص قلبي... قد أدى موته إلى ركودها في الفراش أشهرًا، حتى إذا ما شفخت كان شعرها الأسود قد غدا فضياً. فتركت المنزل لتتنفس إلى رهبانية الكرمل.

أخبر دياغو سبييل كذلك أنه كان يشاهد أمه مرتين في السنة، فالرهبنة الكرملية متزمنة جداً إذ كان يحدثها عبر شباك حديدي، وقد ذكر لها أنه كاد لا يعرف تلك المرأة الراهبة، البعيدة كل البعد عن تلك المرأة العليلة حياة ونشاطاً التي طالما أحبت ركوب الخيل، والصيد، وإقامة الحفلات، وارتداء أفخر الملابس.

بدا لسييل، وهي تسمع هذا، أن دياغو حرم من العاطفة... فوالده الشجاع مات بينما كان هو في الخامسة وأخوه جان في الثالثة وأخته تعبو. لذا يكاد لا يذكره، أما حب أمه فكان منصباً على أخيه

المرأة الملغمة ر بما بالفرو راضية عن نفسها لأنه تخطى من تسمى زوجته تلية لدعونها... وتلاشت شهية سبيل للطعم، ولكنها افطرت لاظهار عدم الاكتتراث بشأن ما حدث... مهما كانت سمع الأمور مأساوية.

أجبرت سبيل نفسها على التقاط قطعة بيس بشوكتها لتضعها في نها... ثم قالت:

- أتوقع أن تطلب منه نقلها إلى مزرعة آل بوردي... فقد سمع أنها ستقيم فيها.

قالت جيزيل بانفعال:

- لقد عادت لتلاحمه ثانية! أستميحك عذراً سيدتي، ولكن يترجح عليك أخذ الحذر منها.

تمكنت سبيل من الابتسام:

- أعلم... يفرجني أن يقلق الجميع على.

- أنت لطيفة معنا سيدتي. أمي تتقول إن المؤسف أنك لست نذالها.

- أعلم أنها جميلة جداً...

فرغت جيزيل رأسها:

- قد يغويها جمالاً يا سيدتي إن ارتدت ثيابك الجديدة. تبدين رائعة جداً في ثوبك الأخضر الذي يماطل لون عينيك الأخضر النضي، كما أدعوه.

- شكراً لك جيزيل!

- على الرحب والسعة سيدتي... أما هي فلا... علراً على

فولي هذا ولكن ماذا ستفعلين سيدتي؟

- سأقاتلها!

صاحت الفتاة مبهجة عند سماعها كلمة القتال تلك، لكن سبيل دُهشت مما قالت.

الكبير:

- أليس لديك اعتراض سيدتي؟

أوقفت سبيل فنجان الشاي معلقاً في الهواء:

- اعتراض؟ ولم الاعتراض في مثل هذا الصباح المشرق الجميل؟

- لأن السيد دياغو تلقى برقية ذهب أثرها بسيارته للقاء القطار القادم من بوردو... .

خفق قلب سبيل:

- برقية من؟

- من التي هربت منه وسببت له كل تلك المشاكل.

يا إلهي... هذا ليس صحيحاً

أعادت الفنجان ببطء إلى الصينية، فقد أحسست بارتباك يديها ولا تزيد أن تريق الشاي فوق الفراش... لم تستطع تصديق ما قال جيزيل... فهي هنا... وفي هذا الفراش بالذات، لتمعن فيرونيك من دخول حياة دياغو مجدداً... فماذا يفعل هو في محطة القطار؟ فهل ذهب ليستقبلها؟

إن جيزيل، دون شك، أسامت القهم.

- ربما البرقية ليست من فيرونيك.

مسحت جيزيل يديها في محرمتها النظيفة المكرية:

- ما من شك في ذلك سيدتي... ابن الجنائي وجدها مرمرة على الأرض قرب الكاراج فأحضرها لترأها أمي التي تجمدت عندما قرأتها... ثم قالت إنها ستحضر لك فطورك المفضل.

فتنهدت سبيل:

- هذا لطف كبير من أمك جيزيل.

إذن لقد حدث هذا! لقد نادت فيرونيك، واستجواب دياغو لندائها دون تردد أحسست بوخزة مؤلمة حادة وهي تتخيله يقابل

افتلت الباب وراءها، بينما بقيت سبييل مستلقة تحترق...
جيزييل على حق... فلن تستطيع امرأة في الدنيا أن تبعد دياغور عن زوجة تحمل طفله... الذي ربما سيكون صبياً... الوريث التالي لعائلة روميلوس.

- لكنني لست زوجته!
رأت الكلمات عالية وافضحة في ذهن سبييل. وفي أمكنة أخرى من جسدها... وبشكل رئيسي... في قلبها.
او... لا!

استوت في الفراش. تلف ساعديها حول ركبتيها بحركة دفاعية تحفشن نفسها لتحميها من قوى المشاعر التي تنزولها، والتي أبقتها بعيدة عنها حتى هذه اللحظات... ولكنها الآن أفلتت من عقالها واجتاحتها، محطمة دفاعاتها.

لقد وقعت في حب دياغور روميلوس... ولأنها لم تقع في الحب من قبل كان الشعور غامراً... خاصة الآن... وهو يقابل فيرونيك ثانية، حيث الشمس ساطعة فوق شعرها الأحمر الملتهب كثار حول وجهها المتتوخش الجمال.

دفت سبييل وجهها في الوسائد... تعذبها الصور التي تمر في مخيلتها... ستمد فيرونيك ذراعيها لتضعهما حول عنقه... وسوف يتشق رائحة عطرها ويختبئ لها ويعانقها بجروح عمره سنوات طوال.

ارتجمت سبييل... واحسست بالغيرة الحقيقة وبالغضب لأنها ساحت نفسها بالوقوع في حب رجل لن يكون لها.

كل ما بينهما ادعاء... كل ما بينهما غير حقيقي... باستثناء ذلك التوقي الذي احسست به في داخلها عندما نزلت إلى الطابق الأرضي بعد ساعة يرافقها كلب دياغور الضخم الذي الزم نفسه بها... كان آخر الكلب التوأم ينفر من الجميع إلا من سيده، وكان

- يا لهذه الروح القوية، إياك أن تدعها تسلبك زوجك. فالـ
دياغور رجل مميز... قوي ومهذب... لذلك هي تريد استرجاعـاـ
لقد سمعت أنه تزوج مجدداً فلم تستطع تحملـ الخبر... لا تدعهاـ
تأخذـهاـ

اشتد أحمرار وجه جيزييل. فردت سبييل:
- لست أتمنى أن...

صمتت مفكرة... فهي تعرف أن الأرض التي تقف عليها غير ثابتة ومتحركة كالمستنقعـات... وان فيرونيك، ربما في هذه اللحظـات بالذات، قد رمت بتعويذتها السحرية على دياغور. فيهاـ عقد زواجـ وإن حلـ القانونـ. أما ما بينها وبينـه فلا يعلـمـ أن يكونـ اتفاقـاـ واهـناـ.

- هل يتكلـمـ القرويون عنها جيـزـيلـ؟

- أجلـ سـيدـتيـ... فـهمـ يتـذـكـرونـ طـرـيقـةـ اـمـتـطـاتـهاـ الجـرـادـ النـيـ قـتـلـتـهـ حينـ اـدـخـلـتـهـ فيـ سـيـاجـ شـاثـاـكـ... كـانـ منـ أـصـلـ عـرـبـيـ وـهـدـيـةـ منـ السـيـدـ ديـاغـورـ... الحـيـوانـ المـسـكـينـ... وـقـدـ اـضـطـرـ السـيـدـ ديـاغـورـ أنـ يـرـيحـ الحـصـانـ الأـصـيـلـ منـ الـآـمـهـ... فـيـ حـيـنـ وـقـتـ تـنـظـرـ إـلـىـ اللـحـامـ وـهـوـ يـقـومـ بـذـيـحـهـ. وـقـتـذاـكـ لـمـ تـذـرفـ دـمـعـةـ عـلـيـهـ بلـ اـمـتـطـتـ سـرـجـ حـصـانـ السـيـدـ ديـاغـورـ وـانـطـلـقـتـ بـالـسـرـعـةـ السـابـقـةـ نـفـسـهاـ عـبـرـ الحـقولـ. رـفـعـتـ جـيـزـيلـ الصـيـنـيـةـ عـنـ السـرـيرـ، وـحـمـلـتـهاـ إـلـىـ الـبـابـ، ثـمـ التـفـتـ، فـارـتـجـعـ مـاـ عـلـىـ الصـيـنـيـةـ:

- سـيـدـتيـ... أـنـاـ لـنـ أـخـدـمـهـاـ إـنـ عـادـتـ إـلـىـ هـذـاـ المـنـزـلـ... فـاـنـاـ لـأـمـانـ بـأـنـ أـسـاعـدـكـ فـيـ أيـ شـيـءـ تـطـلـيـهـ...

- لـنـ يـصـلـ الـأـمـرـ إـلـىـ هـذـاـ جـيـزـيلـ...
وـقـتـ جـيـزـيلـ تـنـظـرـ إـلـىـ سـيـيـلـ بـصـمـتـ، ثـمـ قـالـتـ:
- أـنـ يـصـلـ سـيـدـتيـ...؟ـ منـ الـمـؤـسـفـ أـنـكـ لـسـتـ حـامـلاـ...
فـهـوـ لـنـ يـتـخلـىـ عـنـكـ مـقـابـلـ مـلـكـةـ سـيـاـ إـنـ كـانـ طـفـلـهـ فـيـ أـحـثـاثـكـ.

نحو البحر لاسترجماعهما. سبييل تحب السباحة، ولكن دياغو حرمها عليها إلا إذا كان معها، فمياه الخليج جميلة للنظر، ولكن فيها قوة لا يمكن الوثوق بها. ودياغو يعرف مياه المحيط كما يعرف كل شبر في أرضه... فقد مارس السباحة منذ كان صبياً. لذا أصر بحزم على عدم السباحة وحدها. كانت قادرة على أن تجادله بأن فيرونيك كانت تفعل هذا... ولكنه كان مصمماً على فكرة أنها لن تستطيع التعامل مع عناصر الطبيعة المتوجهة.

كان قد رافقها لرؤية المستنقع المتحرك اللامع المكسو بالعشب والطلوب حتى بدا لها أنه من غير المعقول أن يكون تحت هذا الجمال أرض متحركة قد تفرق حصاناً خلال دقائق.

ودلها دياغو على النباتات الفضية التي تنمو قرب المستنقع حاملة الزهور الصفراء، ودلها كذلك على أزهار صغيرة تشبه الفنسنة... وقال لها إنها متى شاهدت مثلها يجب أن تأخذ حذرها لأن ذلك يعني وجود مستنقع متحرك على مقربة منها... صحيح أن بعضها من هذه المستنقعات غير عميق ولكن بعضها الآخر لا يقر له، واي إنسان يغطس في أحدها يصبح بعيداً جداً عن الكون.

وفكرت في نفسها بكآبة: إنه كالحب. انحنت تلتقط صدقة أخذت تلمسها بأصابعها على غير Heidi... لقد غطست في هذا المستنقع قبل أن تدرك خطورة تلك الخطورة... وأحسست بجاذبيتها المتصلة على جسدها... إنها كتبسة مؤلمة على قلبها.

جلست على الرمال، فانقض إليها الكلبان، يلهثان ومن فروعهما الناعم يتضاعد بخار تمتصه أشعة الشمس، وفي عيونهما نظرة تنصب عليها، لامت رأسيهما الكبارين، فتلقت لعقة من لسان أحدهما ونظرة كثيبة من الآخر:

- لا يلزمكما الكثير لأساعدكما... من الأفضل لكما أن لا تحجا بذلك الرجل كثيراً... إنه متعلق بمن يعرفها وأحبها قبل أن

ذلك الصباح متعدداً على أرض الردهة يبدو نكداً لأن دياغو ترك في المنزل. فلديه أمور أهم من الاعتناء بكلبه وإخراجه ليتعشى عند صخور الشاطئ التي لا تبعد كيلو متراً واحداً عن المنزل.

وقفت سبييل لحظات تفكّر، يداها في جيبي سروالها الجيتر، الذي ترتدي فوقه قميصاً بسيطاً، ووشاحاً أحمر مريوطاً عند العنق... وهي لمسة تمرد صارخة ضد ما تحس به تجاهه رجل أصم أنه لا يرغب في زوجته السابقة ومع ذلك، لم يستطع مقاومة أول فرصة ليكون معها. رفع الكلب عينيه إليها وكأنه يتوصّل... إنه يريد الخروج إلى الشاطئ حيث يلعب ويبلل نفسه بمياه البحر... قالت له «هيا بنا إذن» وخرجت من المنزل يتبعها الكلب، الذي أطلق نباحاً عالياً تعبيراً عن سعادته. بعد خمس دقائق قرر الكلب الآخر الانضمام إليهم، وعلى وجهه تلك النظرة الكثيبة، يمشي مطاطئ، الرأس وكان غريبته تنبه بأن شيئاً مزعجاً يختفي في الجو... هنا كان الكلبان يصلحان من العمر خمس سنوات... وهذا يعني أنهما لم يكونا من سكان البرج عندما كانت فيرونيك سيدته.

صاحت سبييل تويقّن نفسها:

- أوه! دعك من التفكير بتلك المرأة!

توجهت إلى الشاطئ تنزل الدرجات والرياح تلفحها وتلتف وشاحها الأحمر.

كان الصباح لاماً، والبحر الهادئ الأخضر اللون متلاطماً وكان مضاء بأشعة فضية، تخترق وترافق وتنلاش في دفقة مزبلة يضاها، وبعد اصطدامها بالصخور التي تحد الرمال.

تنفست بعمق الهواء المنعش، وركضت، يتبعها الكلبان السعيدان، فوق الرمال إلى حيث كانت المياه تتدفق فوق الصخور مثل النافورة، تبلل شعرها وبشرتها... وسرعان ما وجدت قطعتان من الخشب متماثلي الحجم... فرمتهما بعيداً ليندفع الكلبان بجنون

- مرحباً يا من تحت!
 - مرحاً... لقد غفوت...
 وجلست مرتبتة...
 - قد يفسد البحر والهواء نظام الرأس.
 مد يده فأحيست به سبييل يرفعها على قدميها دون جهد...
 أصابعه تقبضان على يدها، وهي تحاول سحبها. أخذت ظلال حاجبيه التعبير الذي علا عينيه... لكنها لاحظت أناقة ملبيه، إنه دون شك غني جداً. يقدر على أن يظهر بأفضل حلقة عند لقاء ثيرونيك.
 قالت له مداعية خفة ليست فيها:
 - سمعت أنك ذهبـت إلى المحطة.
 فضاقت عيناه واشتدت قبضة أصابعه على مقصمتها:
 - هذا صحيح... كان علىَّ أن أقول شيئاً للثيرونيك كما كان علىَّ أن أتأكد من عدم وصولها إلى البرج دون توقع.
 - هكذا اذن...
 اشاحت بيصرها عنه تمنى أن يترك يدها... فلمسته كانت تتسلكه أكثر من اللازم... وهي لم تعد تشعر بقوته فقط، بل يرجلونه الباعثة اضطراباً في نفسها... إنها أمامة غير محصنة فهي غارقة في حمى حية تحتاج شرايينها، وتُرهن ساقيها، لوجوده قريها. إنها فعلاً مصابة بالحمى وعليها المقاومة.
 حاولت جهدها أن تظهر عدم اكتئانها.
 - اتصور أن زوجتك السابقة كانت ساحرة الجمال.
 أحسست بعينيه تتأملانها وهو يرد:
 - من رأسها حتى قدميها... لا تبدين مكتئته لأنني قابلتها وأوصلتها إلى المترزل الذي استأجرته لقضاء الصيف.
 التفت عيناه بعينيه، وهنأت نفسها على حسن أدائها دورها!

يعرفنكم... لذا من الأفضل أن تخليا عن حزنكمما بسب ابعاده... وإياكم أن تدعاه يعرف مدى حزنكم.
 تسامب الكلب المتعلق بها ووضع رأسه بين قائمتيه، ولكن الآخر المحب لسيده، حدق في وجهها وكأنه فهم كل كلمة قالتها له... فنتهدت ثم استلقت على الرمال فضاقت عيناهما بفعل الشمس... يا لهذا الشاطئِ الممتد... المياه زرقاء لامع يخالطها اللون الأخضر... البحر يتسلق الصخور ليؤلف برجاً واسعة، تبقى مكانها عندما يتراجع البحر بفعل الجزر... الشاطئ، مع الجزر ومياهه المنخفضة، يبدو مهجوراً... مكان غريب يحد الذهب القرمزي والفضة النحاسية. أحياناً تجد هنا وهناك أصداناً مذهلة الشكل ملقة بين طحلب البحر فوق الرمال.
 كانت الصخور المرتفعة تعلو كثيراً فوق الخليج... ونداء النورس يتعالى بما يشبه مواء قطة وحركة البحر تستمر في صխبها. هذا الخليج جميل، ومتواضع... فلما عجب إذن أن مالكه يتจำกب مع النساء بالطريقة نفسها.
 أصافت سبييل إلى صوت المياه تروح وتجيء فساربة الصخور... واستلقت هناك دون حراك... ضائعة في أنوارها مع حركة البحر... منذ زمن سحيق كانت السفن الشراعية تتحطم عند هذه الصخور...
 تحركت الأمواج راعدة صاحبة، وملأت الهواء بالرذاذ الرطب. الشمس الشديدة الحرارة استولت على مشاعر سبييل... فجرفتها إلى النوم تحت صخور الغرانيت الفضخمة.
 فجأة استيقظت ففوجئت بعملاق يقف فوقها، يظللها بظله. تجمدت حيث هي مستلقية... تشعر بأن عظامها تذوب وبيان قلبها يعصف بجنون... كان الكلبان الضخميان يدوران حوله ونباحهما العميق يتعالى ترحيباً به.

ان تهرب قبل أن تخرج مشاعرها عن سيطرتها.
رفع الرعب من وتيرة صوتها حتى كادت تصرخ أثناء مقاومتها
لـ.

- اتركي !
اسكها دياغو بقوة من ذراعيها، فبذا أن شيئاً ما في عينيه
يحرق قبل أن يصمت صراخها بفمه. لتخنق الكلمات... لم يكن
عنده لها إلا اعتداء عنيف، وكان من القوة بحيث لم تستطع سوى
تقديم الخضوع له. كانت ذراعاه قد طرقتاها وجذبتها إليه بقوة
المنها... حتى شعرت بأنها توشك على الإغماء.
نلاشت كل قدرة لها على المقاومة، ووقفت بصمت، وجهها
على كتفه، تعلم فقط أن ليس هناك أية رقة فيه. بل الرغبة في
السيطرة.

احت أنها مملوكة... تمتلكها قوة أبعد من سيطرتها...
مزها النحيب وهي تحس بذراعه تلف خصرها... وبأنفاسه تلغ
شعرها:
ـ أنا أطلب منك البقاء سبييل. لقد عقدنا اتفاقاً... ولن أعطيك
ـ فرنكاً واحداً مما وعدتك به إلى أن تكسيه بجدارة فهمت؟
ـ ولكنني لست أهلاً للوظيفة...
ـ أنت تتهمرين نفسك بعدم الكفاءة لا أنا... أنت من اعتبرت
ـ ذاتك دخيلة، طفيلية.

ابعدها عنه لينظر إلى وجهها المتحب فرددت مترجمة:
ـ هذا ما أنا عليه دياغو... ألا ترى... لا بد أنك تحب
ـ نيرونيك بقوة حتى تحس ب حاجتك إلى... لأحميك من
ـ شاعرك... أوه... الأمر مضحكاً
ـ أحست برغبة عاصفة تدفعها إلى مد يدها لإبعاد تلك الخصلة
ـ عن جبهته... لكنها رغبت أكثر في أن تلامس فمه، برغبة تعامل

- ولماذا أكتثرت كزوجة حقيقة، قد تختلف فضيحة لأنك تائف
للقاء زوجتك السابقة... أوه يا عزيزي... كل هذا أمر سخيف لا
ترى ذلك؟ وبعد قليل ستعزف موسيقى الحب لك ألحانها من جديد.
ـ أخشوشن صوته، كذلك قبضة يده على يدها:

- أنتظرين الأمر مزاها؟

- بل أنه مضحك ومسلل... فأنت تسعى إلى إيهام الجميع بأنك
ـ تزوجت ثانية. لكنك سرعان ما تخرج راكضاً لدى أول إشارة تطلقتها
ـ فيرونيك... على كل الأحوال، لقد ستمت من القيام بالتمثيل...
ـ فإن تكررت ودفعت أجرتي... متابيع سفري... لا أظن أن أحداً
ـ سيدهش... فالجميع يعرف إنك ما إن تراها حتى تعود لتعلق فوراً
ـ على صنارتها.

ـ أمسك بكفيها يهزها حتى شهقت:

- سأعلقك أنت بالصنارة... أيتها السمكة الصغيرة الوحنة
ـ فهدفي الوحيد من لقائها هذا الصباح كان أن أحميك منها...
ـ كي تتخلصي من مثل هذه النظرة المذهبة عن وجهك... فنانـا
ـ أعرفها! كانت ستأتي إلى البرج مستخدمة كل أسلحتها لتشعرني...
ـ فرددت عليه بغضب مقاطعة:

- بأنتي متطفلة لا تفي بالمطلوب؟

- أجل... هذا عدا أشياء أخرى.

- محالة مدعية؟

- إذا رغبت في قول مثل هذه الأمور، فهيا آخر جيها من نفسك.

- أريد الابتعاد... الابتعاد عن حياتك!

ـ كانت كلماتها تشبه البكاء... فكرهته لأنه وافق على
ـ كلامها... كانت قد أحبته حتى وهي ترحب في الابتعاد عن كل تلك
ـ المشاعر التي تؤلمها... كانت مجنونة لأنها اعتقادت نفسها قادرة
ـ على إتمام هذه التمثيلية معه. إنها الان تتألم من أشياء حقيقة وتريد

- لا ينفعك أن تستخرج ما ت يريد.
 لو كان لديه فكرة خبيثة عن تلك المشاعر، لأطاعته وغرقت
 تحت رحمة ما يختار أن يطلبها منها. أبداً لن تسمح لنفسها بأن
 يستغلها ثم يرميها عندما تستعيده فيرونيك في النهاية.
 - إذن انت لست معجبة بي سبييل؟
 - قلت بنفسك إن محبة الناس ليست ضرورية.
 - إذن فأنت ترمين كلماتي في وجهي... هه؟
 حدقت في البحر، مختارة التزام كبرياتها حتى وإن استسلم قلبها
 الأحمن دون أن تأذن له.
 - ليس بيتنا ما هو مشترك... الناس يحتاجون إلى هذا إذا
 أرادوا... الصداقة!
 - صداقة يا سبييل؟ وهل هي ممكنة بين رجل وامرأة؟
 فردت بهدوء:
 - هنا ما يجب أن يكون... فمن دونها لن تُطاق الحياة، كيف
 لنا العيش قرب إنسان ما دون صداقة؟
 وسألتها ساخراً:
 - ألم تسمعي بالحب؟
 - سمعت به... ولكنني أفضل أن أندفأ بنار الموقد على
 الاحتراق به.

فوق بصمت، وضاعت نظراته في عمق السماء والبحر
 الباردين بينما أجازت نفسها نظرة سريعة إليه، أظهرت عن وجهه
 عينيه جسور، متوجه، مناسب لحفر على قطعة نقدية تعود إلى
 الأزمنة الغابرة. أحست بتلذق مشاعر غير مرغوبية تجاهها،
 ويارتجاف في عظامها وفي كل جذور كيانها... نوع من المشاعر قد
 يحيط كل دفاعاتها كما يتحطم البحر برذاذ رطب فوق الصخور
 السوداء... هزت رأسها بصمت... القرب منه نعمة من

رغبته في المرأة التي يبعدها عن نفسه.
 - أعلم أنتي أطلب منك الجميع سبييل.
 - وهل من المفترض... أن أقابلها؟
 فطاطاً رأسه:
 - أمر لا مفر منه... أنها تحرق لتطفيء فضولها بشأنك. فعل
 سططقيين هذا سبييل؟
 - وهل لدى خيار آخر؟
 تحركت عيناهما وحدهما في وجهه المتوجه الأسود... الذي
 قد يظن الغريب معرضاً للخطر. ولاحظت عضلة متوردة تتحرك قرب
 فمه... فمه الذي لن تنظر إليه بعد الآن دون أن تعرف مدى قساوه
 ومطلباته... ارتسمت عليه بسمة ساخرة:
 - كوني واسعة الأفق يا عزيزتي... حتى أمنعها من العجيء إلى
 منزلك دون دعوة، دعوتها بنفسها إلى العشاء مساء الجمعة.
 - اووه... يا إلهي!
 فقال ساخراً:
 - لا تقصدى الوعى... أنا واثق من أنك ستقدرين على التعامل
 معها. أريدك أن تفعلي هذا من أجلي، على أن تكوني ممتازة في
 دورك... مستمسكين بيدي وتنظريين في عيني مثل العروس
 الحقيقة... وكأنني مركز كيانك.
 - ومن تظنت بأربع في هذا الدور؟
 - في الواقع أنه يتطلب درجة عالية من المقدرة.
 فسحك، ولكن دون أن تظهر بارقة منح في عينيه ثم أردف:
 - لقد طعنتي في القلب سبييل... أعتقدتكم لا تكرهوني إلى
 هذه الدرجة.
 أحست سبييل بحاجتها الماسة لاحفاء مشاعرها الحقيقة عنه.
 فاجابت ساخراً:

القلب كالأجاد كي تنظف ويتغير شكلها لتخلص من الرغبة والذكري.

انطلقت بهما السيارة عبر طريق منحدر حاد. فتمسكت سبييل بالباب وذلك حين سمع دياغو للسيارة يأن تزداد سرعة. بدت السيارة وكأنها تقفز فوق التلال والوديان بسهولة... تسرع عبر الريف الجميل البري الذي أحبت سبييل منظره. كان سقف السيارة متوجهاً، فترقصن الهواء الدافئ في شعرها ملامساً عنقها وذراعيها...

لم يتادلا إلا القليل من الأحاديث فقد بدا لها مشغول الفكر بالمرأة التي كانت في السيارة قبلها... بماذا تناقشنا يا ترى؟ كيف كانت ردة فعلها عندما أخبرها عن زواجه المزعوم؟ هل ارتأت كما كانت سبييل متأكدة من ارتياض الجميع... دياغو هو الروميروس روريث البرج... ولكن هل يجرؤ أحد على القول جهراً إنه يمنع نفسه بفتاة شابه يقول إنها زوجته.

لا بد أن هناك القليل من الشك في ذهن فيرونيك بوجود عائق أمامها للعودة إلى قلب دياغو ومتزله. فلديها أقارب في المنطقة لا بد أخبروها عن «الفأرة الصغيرة» التي يقضي دياغو وقتها معها. ولسوف نبسم فيرونيك لنفسها... وانقة من جمالها الناري الذي لا تملكه إلا القلة من النساء.

ألم يقل دياغو منذ قليل إنها ما زالت فاتنة؟
هبطت بهما السيارة نزولاً نحو ميناء بياريس... على جانبي الطريق محلات جذابة قديمة الطراز، وفي الهواء رائحة السمك... بينما مجموعة مراكب صغيرة تصطف عند جدار الرصيف. لاحظت سبييل أن هذا المكان القديم قدم الزمن لم يتغير كثيراً منذ مئات السنوات. وأحبت ما رأت وأحست بالامتنان لدياغو لأنه رافقها للغداء خارجاً. فهي بحاجة إلى وقت لتكليف مع الجو الذي اثارته

السماء... وجحيم في آن واحد.
قال لها فجأة:

- أنت ترتجفين... وحق الجحيم لم يكن لي مثل هذا التأثير في فتاة من قبل. أم أن الفكير بزوجتي السابقة يجعل ركبتك واهتين؟

إن السبب هو... لمسته... تمسكه العثير للسخط في نفسها الذي لم تتمكن من الإفلات منه. إنه قوة أبعد من سيطرتها استولت على مشاعرها وحركاتها. لقد تملكها... استحوذ عليها... وكانت شخصيتها قد انفصمت، تصف فيها يتعنى الخلاص ونصف آخر يتمسك بسهولة الإمساك بقطعة من مؤخرة عنقها. تمكنت أن تقول:

- ارتجف لأنني لم أذق شيئاً منذ الصباح... وأنا جائعة، وارد تناول الغداء.

- أجل... لا بد أن هذا هو السبب.
كانت لهجته لهجة أب يتحدث إلى طفلته التي تحبّه بمزاجها المتقلب.

- اعتقد انك بحاجة للابتعاد عن جو المترزل... لذا ستفصل للغداء في مطعم أعرفه عند الشاطئ. اتحبين هذا سبييل؟
- اوه... أجل!

- هنا بنا إذن.

سارعت سبييل إلى غرفتها تخلع ما كانت ترتدي عند الشاطئ... لو أحس دياغو بالعذاب الداخلي مثلها، فهي تشفع عليه... فالحب يجب أن يكون متبادلاً ليكون ممتعاً... ودون هذا هو مجرد ألم.

لامست يده مذراعها وهو يساعدها على الصعود إلى السيارة، فاللتقت عبرنهما للحظات. قبل أن يستدير إلى الناحية الأخرى ليصعد وراء المقود... كانت تعلم ما يتعناه... إنه يتعنى أن تكون

- شقيقتك كانت هنا منذ أسبوع وأكلت منه. فهي لا تستطيع مقاومة إغراءاتنا.

التفت دياغو إلى سبييل:

- بجب أن تذوقى منه يا عزيزى .

- ييدو من خلل كلامكما أنه للذيد... ويجب أن اعترف أنني
جائعة.

أمعن دياغو النظر بسبيل حتى اضطرت لمقاومة اعصابها ل تسترد
جاشها ثم بعد ذلك نظرت وكأنها ليست مضطربة حتى أعمق أعمق
كيانها. أحست بعينيه تتأملانها وكأنه يعرف بالاضطراب في داخلها.
تحملت نظراته، بجهد، فلما أغار اهتمامه إلى الطعام تنفست
المعداء.

كان الغداء من النوع الذي لن تنساه بسرعة، وخاصة وهي تتناوله مع دياغو في نزل ضيق خائع في الزمن. كان السمك المسلوق لذينا أكثر من الوصف... ثم قدم إليهما الروستو مع الطاطا المهرسة والجزر والبازيلا.

واحست سبييل بأنها لن تتمكن من وضع لقمة أخرى، إلا أن دياغو أصر على أن تتذوق مربى التين، الذي أضيف إليه الكريما. تراجعت سبييل في مقعدها تنتهد من التخمة، فسمعت دياغو يحك رهبرت من خفيف فتحت ممتنة:

يُحِبُّ بَشَرَتْ مَهْمَسْ، حَسَنَتْ.
- أَنَا مَسْرُورَةٌ لِأَنِّي أَسْلِيكَ.
- مَا زَلْتَ طَفْلَةً غَافِلَةً . . .

- لأنني ما زلت أتمتع بالماهوج البسيطة؟ لقد أعجبني هذا المكان، وسأذكر هذا الغداء ما حييت.

- وهل بدأت تترقبين يوم افتراقنا
كم المها أن تعرف:
طهراً فلان أم ناقة الخداء على الاقتن

- طبعاً. فلن أصدق الخداع على الواقع. هنا رغم ظني بأن

فيرونيك في الجوار يعودتها. إن الناس دون شك سينظرون بغضون لمعرفة اتجاه الرياح، وما إذا كان هناك دخان أو كبريت في الجو... وما من شيء من هذا قد يؤثر فيها لو أحكمت الحرارة حول قلبها... ولكن في وقت ما خلال إقامتها في البرج سمعت لدياغو روميلوس بأن يفاجئها، وهي الآن غير قادرة حتى على النظر إليه دون ارتياح وألم... وسعادة.

كان الرصيف المؤدي إلى المنزل مرصوفاً بأحجار موداه قديمة... لتوافذه قناطر وأعمدة حجرية تقسمها نصفين. قديمة، كالرمل والطقس وجرحها... بدت تماماً أنها ذلك النوع من الأماكن التي استخدمها المهريون والقراصنة في الأيام العاشرة... من الداخل لم يكن التزل مخيّاً برائحة الستديان المحرّق والدخان.

تقىد مالك الترل، العملاق الشديد الاسمرار يحيى دياغرو، الذي
قدم سبيل، بعد المصالحة، باسمها دون أن يضيق أنها زوجته وقال
مبتسماً بعد أن أجلسهما على مقعد خشبي مصنوع من السنديان أمام
طاولة من السنديان أيضاً.

- أريد أن تعرف سبييل إلى أفضل سماك مسلوق في كل السواحل.
- حاضر... وهل تحب السيدة الشابة أن تتناول شراب التوت

- ما رأيك سبييل؟
- لن أقول لا.

- إذن أحضره لسييل، وجيئي بالجعة، أما زلت تستخرجهما من لثثب؟

- وهل أقدم لزياراتي شيئاً ليس أصلياً سيدتي؟

- أما زلت تقدم مربى التين الشهير؟

فضحك مالك التزل:

- الزواج أمر جاد... وأنت تعرف هذا... كيف أرضي بك زوجاً وما زلت تحب فيرونيك؟

- لقد انتهى أمرها بالنسبة لي منذ زمن بعيد. وإذا كانت هي سبب رفضك لي... فانسي أمرها.

- حقاً دياغو... أنت تتطلب مني نسيانها، وأنت من يجب أن يفعل هذا قبل أن تطلب مني الزواج منك. لقد بدأت أؤمن بأنك قد تفعل أي شيء للانتقام منها وهذا كل ما في الأمر... أليس كذلك؟

- سأنتقم... ولكن هل أنت مقتنة بآن هذا ما أسعى إليه؟

- كل الاقتراح.

- حتى وإن كنت مستعداً حالاً للذهاب طلباً لرخصة للزواج؟

فنظرت إليه بعينين موبختتين:

- توقف عن هذا دياغو!

- هل بدأت أحطم مقاومتك سبييل؟ فكري... ستكونين سيدة منزل نبيل قديم... وسيدخل اسمك في سجلات عائلة روميلوس... .

- أصمت!

لم تعد تستطيع تحمل المزيد، فقفزت واقفة وركضت خارج التزل، تقطع الطريق باتجاه محلات العقابلة. فلم تلاحظ سيارة سبييل في تلك اللحظة من المتعطف، ومع أن السائق كبح السيارة دون تردد إلا أنها اصطدمت بها وارتدى فوق الأرض.

اختلط احساس الخوف بالألم. وجرفتها العتمة... لا يخترقها سوى صدى أصوات غير واضحة تصيبع باسمها... مرتفعة ومتأللة... .

- سبييل... !

● ● ●

أحداً لا يصدق زواجك... أنت «روميلوس» لذا لن يجادلك أحد فيما يقول، ولكنني متأكدة أن الجميع يعتبرني فتاة لهو.

- ولماذا قد يجد الناس صعوبة في تصديق زواجنا؟

نفث دخان سيكاره فاختفت قسمات وجهه ثم ضاع الدخان في سواد شعره. وبدا لها مرتاحاً في ما يحيط به من «نزل النورس» حيث كانت تخزن البضائع المهربة والمسلوقة بعد إفراغها خلية في المرفا.

هناك اناس ولدوا أصلًا في غير زمانهم... ودياغو أحدهم... وخالف تفكيرها شك في أن تكون هي واحدة أخرى... .

- لماذا يجب أن يبدو مستحيلاً أن تكون رجلاً وزوجته؟

فردت بهدوء:

- بسبب الفوارق... الناس يقومون بالمقارنة. فكيف يا دياغو أقارن بفيرونيك، أو أتنافس معها؟

- تقدرين عندما تكونين أنت نفسك يا عزيزتي.

لامست شفتيها بسمة تائهة:

- هذا بالضبط الرد الذي اتوقعه من رجل.

- ما لا استطيع حياله أي شيء أنتي رجل. أما زلت أخيفك؟ مع أننا تناولنا الفطور معاً؟

- أوه... أعلم أنك تمكنت من اقناع من في متراك باتنا... .

نام معاً. ولكنهم ليسوا مقتنعين بأن هذا شرعي.

- وهل تودين أن تصبحي زوجة شرعية سبييل؟

- هذه ليست مسألة للمزاح!

- ومن يمزح؟

- لا بد أنك تمزح!

- ومن يمزح؟ هل سترمين في وجهي الآن ذلك القول بأنك لن تتزوجيني وإن كنت آخر رجل في الدنيا؟

٩ - الساحرة في منزلها

خرجت سبييل من المستشفى بعد بضعة أيام محفوظة يدفع
خدمات مؤلمة، وضربة على الرأس. ولكن حالما أعلن أنها بخير
جاءها دياغو بملابس نظيفة، وأعادها إلى البرج.

بينما كانا في السيارة قالت متسائلة:

- ما الذي جعلني اندفع أمام تلك السيارة؟

ولم يرد إلى أن أوقف سيارته أمام المنزل، حيث تركزت أشعة
الشمس فوق أبياجه الغرانيتية... أحسست سبييل بالسعادة للعودة إلى
«منزلها»... ثم أحسست بدياغو، يميل نحوها، فنظرت إليه ومررت
يتمتم:

- هو دون شك شيء قلته لك.

فابتسمت:

- وهل كان الكلام شيئاً؟ لقد كنت أبحث في ذهني لأنذكر...
ماذا قلت؟

نظر إليها بدهشة... لقد أحسست بتشوش في تفكيرها في
اليومين الأولين اللذين أمضتها في غرفة خاصة، حيث خدمتها
ممرضة شابة... وقد ذهلت حين نوديت بالسيدة روميلوس...
ولكن ما أن جاء دياغو وجلس قريباً على السرير، حتى عرفت أنه
زوجها... ورأت الآن نقطية تضم حاجبيه الأسودين.

- ألا تذكرين سبييل؟

امتدت يدها لتمسك بكم قميصه ثم ترتفع إلى كتفيه:
- الذي... فكرة مبهمة... عن شيء له علاقة بشخص دعوه
انت على العشاء... ومن الأفضل أن تخبرني ثانية دياغو. ففي هذه
المرة لن أنصرف بغياء.
- للأمر علاقة بفيرونيك.

راقب ردة فعلها عن كثب، وعيناه تنصبان عليها كعيني الصقر،
 بينما أصابعها تمسك بكطفه:

- فيرونيك؟ بالطبع يا للسخافة كيف أنسى... ولكنني تذكرت
الآن. لقد غضبت لأنها كانت زوجتك السابقة، وكانت أخشن
مقابلتها... هل اتهمنتك بأنك ما زلت تحبها؟
- أجل... سبييل.

مررت أصابعها على خده:

- يا عزيزي... إذن لهذا تبادلنا كلاماً قاسياً... يؤسفني
تصرف الغبي لا بد أنك غضبت مني؟
- بل قلقت عليك... هل أنت واثقة إنك بخير. فهذا ما أكدته
الطيب...
- أنا بخير تماماً... كدعاتي تتلاشى، وألم رأسي سكن... لذا
أردت العودة إلى المنزل... معك.

- صحيح؟
وبدا وكأنه يريد قول المزيد ولكنه عدل عن رأيه. فخرج من
السيارة، واستدار ليساعدتها على النزول... ما زالت ساقاها
واهتين. سحبت نفسها عميقاً من هواء الحقول، وضاقت عيناه لدى
رؤيه أبياج القصر. إنه من ذلك النوع من المنازل الذي يعيش فيه
رجل مثل دياغو... عندما ادركت باللم أنه زوجها... لم يعد أي
شيء آخر يهم. وعندما مال فوقها في المستشفى ليقبل جبهتها،
أحسست بالبهجة تملأ قلبها.

عندما تضعيين عينك على شيء... أو أحد... فأنك لن تقعي...
 إلا إذا كان السبب هو الشوق للوصول إلى هدفك... سمعت أنك
 كنت تعملين في باريس... صحيح؟
 صحيح... ولكنني بالطبع تخليت عن عملٍ بعد زواجي.
 طبعاً... فكما ذكر جيداً، أن دياغو لا يقبل أن يكون لزوجته
 اهتمام بأي شيءٍ غيره. ألم تكتشفي طباعه بعد؟
 فتحممت سبييل وهي تحس التوتر في عضلات دياغو:
 - اكتشفتها تماماً.

فضحكت فيرونيك ساخرة.
 - إنه رجل كبير على صغرٍة مثلّك... إنك حلم ليلة صيف
 حارة... لا حلم عاطفي.
 سألتها سبييل بكل براءة:
 - مثل قطة فوق صفيح ساخن؟

فضاقت العينان الخضراء واصبحتا لامعتين بينما مر طرف
 اللسان بعنودة فوق شفتي صاحبتهما المرتدية مترفة من فرو قطة
 الوشق الروحية المنقطة. فوق فستان عالي الياقة، ومع ذلك فهو
 ييرز كل حنايا جسدها الخفية. عيناهَا تشبهان عيني ساحر قادرتين
 على رمي التعاوين على الرجال.

نظرت سبييل إلى خصمهَا وهي تحس بغير إلى الخبرة وكأنها
 نثأة مدرسة. حتى وجود دياغو قربها، حتى وزن خاتمه في أصبعها،
 لم يتمكنا من تبديد الخوف الذي امتد إليها من فيرونيك.
 أحسست بالغيرة تطعنها، حتى كادت لا تستطيع إخفاء شهقة ألم.
 لن تستطيع التنافس مع ذكريات دياغو عن زواجه من فيرونيك...
 ومع أن ذراعها مرتبعة بذراعه، فقد أحسست بالخوف من تملص
 عينيها الخضراء عن قلبه. لقد تزوجها لا عن حب، بل ليشكل دفاعاً ضد هذه
 المرأة...

شعرت بهذا ثانية وهي تسير معه نحو الردهة الضخمة... ذات
 الألوان الضخمة العائدة إلى طراز قديم وذات الخشب السندياني
 اللامع، والنوافذ العالية المقطرة بزجاج مرسوم عليه صور القديسين.
 شخص ما كان يجلس على صندوق خشبي كبير لحفظ النفائس،
 تحت صورة روميلوس الأول الذي بني القصر... المرأة كانت أكثر
 حيوية من... أن تكون شبهاً. كما أن سبييل لم تسمع بشجع يدخن
 سيكاراً من مسمى طويل.

سحبت الشفتان القرمزيتان الدخان، ثم نفثته بيضاء. حتى ارتفع
 إلى الشعر الناري اللامع تحت أشعة الشمس المتسللة من النوافذ
 المرسومة. ساقان مديدتان تتعاقدان فوق بعضهما باغراء... وكان
 في نظرة المرأة راحة وثقة، جعلت سبييل تمعن في جسدي كانت
 تصبيع: أخرجني من هنا! لم يعد هذا المكان يخصك!
 - فيرونيك؟

صوت دياغو دوى ليضرب الواح الخشب فوق الرؤوس...
 فوققت فيرونيك برشاقة متردية:
 - جئت أرحب بالعروس في بيتها... سمعت أنها تعرضت
 لحادثة... يا عزيزتي المسكونة...
 - إنك لجريئة حقاً!

نظرت سبييل إلى دياغو فشاهدت أن لون شفتيه وطرف في انه
 أصبح رماديأ بينما عيناه تلمعان غضباً... ربطت بسرعة ذراعها
 بذراعه ونظرت إلى فيرونيك بثبات قائلة:
 - أنا بخير تماماً الان... كان الحادث طفيفاً. بضعة كدمات
 وضربة في الرأس... كان يجب أن أنظر حولي أثناء اجتياز الطريق.
 سرها سمع أن صوتها غير مرتجف... أما فيرونيك فحركت
 عينيها الخضراء صعوداً ونزولاً على جسد سبييل النحيل:
 - وهذا ما أنا متأكدة من أنك تفعلينه عادة... أنا واثقة أنك

- أعتقد أنني فعلت.

- بالطبع فعلت... فأنـت مثلي... تذكر أدق تفاصيل السنة التي عـشتـها معاً... سـنة واحـدة... وـمع ذـلـك كانـ لها تأثيراً كـبـيراً في نـفـسـنا.

- نـكـلـمـي عنـ نفسـكـ فيـرونـيـكـ... فـكـلـاتـا متـرـوجـ الآـنـ.

فـهـزـتـ كـتـفـيـهاـ وـكـانـهـاـ لاـ تـهـتـمـ لـلـآـخـرـينـ:

- صـحـيـحـ... وـلـكـنـ زـوـجـيـ توـقـيـ... وـكـانـ لهـ مـصـالـحـ فـيـ عـشـراتـ الشـرـكـاتـ الـمـسـاـهـمـةـ. لـذـلـكـ لـنـ أـجـرـعـ، إـلـىـ الـحـبـ. فـهـلـ

نـظـنـ أـنـتـ لـنـ أـنـالـ ماـ أـصـبـوـ إـلـيـهـ؟

- لـمـ أـعـهـدـكـ جـائـعـةـ إـلـىـ الـحـبـ فيـرونـيـكـ.

- أـنـتـ لـمـ تـنـادـنـيـ يـوـمـ «ـفـيـراـ»ـ كـالـآـخـرـينـ... أـلـيـسـ كـذـلـكـ دـيـاغـوـ؟

لـطـالـماـ كـنـتـ رـجـلـاـ وـاقـعـيـاـ... وـكـماـ قـلـتـ يـاـ حـبـيـبيـ يـوـمـ التـقـيـكـ، تـبـدوـ

مـنـالـقـاـ وـيـصـحـةـ مـمـتـازـةـ.

- وـأـنـتـ مـاـ زـلـتـ جـمـيـلـةـ.

قالـ هـذـاـ بـلـهـجـةـ عـادـيـةـ، إـلـاـ أـنـهـ جـعـلـتـ سـيـبـيلـ تـحسـ بـالـأـلـمـ، وـكـانـهـ مـيـغـرـيـةـ لـاـ حـقـ لـهـ فـيـ هـذـاـ مـتـزـلـ كـمـاـ لـفـيـرونـيـكـ الـتـيـ مـلـأـتـهـ بـرـجـوـدـهـ الـحـيـويـ... شـعـرـتـ بـأـنـهـ تـنـكـمـشـ مـبـتـدـعـةـ عـنـ دـيـاغـوـ، تـعـبـةـ

مـنـهـ وـمـنـ الـمـتـزـلـ الصـخـمـ... الـفـارـغـ... الـبـارـدـ الـعـالـيـ... كـمـاـ

شـعـرـتـ بـأـنـ سـعـادـتـهـ بـالـعـودـةـ ذـاـبـتـ وـانـدـثـرـتـ وـأـنـ الـأـلـمـ رـأـسـهـ عـاـوـدـتـهـ

مـنـ جـدـيدـاـهـ. لـيـتـهـاـ مـاـ زـالـتـ فـيـ الـمـسـتـشـفـيـ تـنـعـمـ بـالـرـاحـةـ وـالـأـمـانـ... .

نـهـيـ لـمـ تـنـصـورـ أـنـهـ قدـ تـوـاجـهـ فيـرونـيـكـ وـهـيـ ضـعـيفـةـ وـتـعـبـةـ... يـاـ

لـهـذـهـ الـمـرـأـةـ؟ لـقـدـ تـرـوـجـ دـيـاغـوـ ثـانـيـةـ. وـمـعـ ذـلـكـ فـهـيـ هـنـاـ. تـتـصـرـفـ

وـكـانـهـاـ مـاـ زـالـتـ تـمـسـكـ بـهـ، وـكـانـهـاـ سـيـبـيلـ لـيـسـ بـشـيـءـ أـمـامـهـاـ.

سمـعـتـ فيـرونـيـكـ تـقـولـ لـهـاـ:

- تـبـدـيـنـ ذـاـبـلـةـ يـاـ عـزـيـزـتـيـ.

نـظرـتـ إـلـيـهاـ وـكـانـهـاـ تـعـمـنـ ذـبـولـهـاـ فـيـ الـحـالـ لـتـمـكـنـ مـنـ مـدـ يـدـهـاـ

ولـكـنـ... آـهـ... مـاـ هـذـاـ الدـفـاعـ الـوـاهـيـ الـذـيـ اـخـتـارـ؟

فـيـرونـيـكـ عـرـفـتـ هـذـاـ... وـجـعـلـتـ مـعـرـفـتـهـ تـظـهـرـ فـيـ عـيـنـيـهاـ.

وـضـعـتـ فيـرونـيـكـ يـدـهـاـ عـلـىـ خـصـرـهـاـ... وـلـمـ خـاتـمـ لـهـ جـوـهـرـةـ

ضـخـمـةـ تـجـاهـ فـسـاتـيـنـاـ الـفـاتـحـ اللـونـ... وـقـالـتـ باـغـراءـ:

- كـنـ أـكـثـرـ تـرـحـيـباـ يـاـ دـيـاغـوـ... لـقـدـ دـعـوتـيـ لـلـعـشـاءـ... الـ

تـلـكـرـ؟ ثـمـ طـلـبـتـ مـنـيـ عـدـمـ الـمـجـيـءـ لـأـنـ زـوـجـتـكـ أـصـبـيـتـ بـحـادـثـ

صـغـيرـ... لـمـاـ رـمـتـ بـتـفـسـهـاـ أـمـامـ السـيـارـةـ... لـسـتـ أـدـريـ؟

التـفـتـ إـلـىـ سـيـبـيلـ مـنـ خـلـالـ الدـخـانـ:

- خـلـالـ شـهـرـ عـلـيـ مـعـ دـيـاغـوـ... لـمـ أـكـنـ اـجـرـيـ... خـاصـةـ

أـمـامـ عـجـلـاتـ سـيـارـةـ.

أـحـسـ سـيـبـيلـ بـكـرـاهـيـةـ تـجـاهـ هـذـهـ الـمـرـأـةـ تـزـاـيدـ وـتـتـشـرـ فـيـ نـفـسـهـاـ:

- لـمـ يـكـنـ مـاـ حـدـثـ مـقـصـودـاـ.

ضـغـطـتـ جـسـدـهـاـ أـكـثـرـ عـلـىـ دـيـاغـوـ. وـكـانـهـاـ لـيـعـلـمـ أـنـهـ تـحـسـ بـمـاـ

يـشـعـرـ. وـلـكـنـهـ لـمـ يـتـجـاـوبـ مـعـهـاـ، بـلـ أـحـسـ بـالـبـرـودـةـ... وـكـانـهـ

فـيـرونـيـكـ فـيـ غـرـفـةـ لـيـسـ فـيـهاـ أـحـدـ سـواـهـمـاـ... فـلـقـدـ شـارـكـهـ الـكـثـيرـ

الـكـثـيرـ... لـقـدـ بـادـلـهـاـ الـحـبـ فـيـ مـتـزـلـهـ... وـفـيـ الـحـقولـ... وـمـنـ

طـبـيـعـةـ الـبـشـرـ نـسـيـانـ الـأـلـمـ قـبـلـ اللـلـةـ.

رـدـتـ عـلـيـهـاـ فـيـرونـيـكـ وـهـيـ تـنـفـضـ رـمـادـ سـيـكـارـتـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ:

- وـهـلـ نـحـنـ وـأـنـقـوـنـ مـاـ نـفـعـلـهـ عـادـيـةـ؟ الـإـنـسـانـ يـفـعـلـ بـعـضـ الـأـشـيـاءـ

بـاـنـدـفـاعـ مـتـهـورـ. ثـمـ يـنـدـمـ سـنـوـاتـ عـلـىـ مـاـ فـعـلـ. أـلـاـ تـوـافـقـتـيـ الرـأـيـ عـلـىـ

هـذـاـ دـيـاغـوـ؟

فردـ بـخـشـونـةـ:

- مـنـ طـبـيـعـةـ يـعـضـهـمـ التـهـورـ... وـمـنـ طـبـيـعـةـ الـبعـضـ الـآـخـرـ

الـتـرـيـثـ.

- عـنـدـمـاـ تـقـولـ هـذـاـ يـاـ حـبـيـبيـ أـحـسـ بـأـنـهـ اـمـرـ تـكـرـرـ مـنـ قـبـلـ...

فـهـلـ قـلـتـهـ لـيـ سـابـقاـ؟

ما يحلو لها للحصول على ما تريده.
ـ ولكن هذا ليس عدلاً سيدتي، المترد لا مترد لها!
ـ لست أدربي!

جالت عيناهما في الغرفة الكبيرة الأنثوية، النظيفة الرائحة حيث تنتهي أصوات الطيور من العروج، المنادية فوق الوزال الذهبي اللون، والصخور المستوحشة والشجيرات الصغيرة التي نقلتها الرياح... أرادت سبييل أن تتنشق فقط رائحة العروج المنعشة، ولكن ما تزال هناك رائحة عالقة في أنفها من العنبر الذي يفرج من جسد فيروننيك...

كانت صورة فيروننيك لا تبرح خيال سبييل، صورتها وهي في فستان يلتصق بالثانيا الناعمة، تعممة حيوانية تجذب الرجال إلى لمكتنة سرية حيث يغوصون في عمق الرغبات... التي شاركها إياها دياغو...

ـ أما سبييل فلم يحدث أن أحست بها.
ـ بذا لها أن أجياً مرت قبل مجبيه دياغوف إلى غرفتها... كانت نعلم أنه سيجيء. وكانت تجلس على مقعد طاولة الزينة، تنظر أظافرها وتحاول أن تبدو هادئة.

ـ شاهدت الباب عبر المرأة ينفتح. وشاهدت طيقه قبل أن يقفله، ارتعشت... رتزة وهو يتقدم ليقف وراءها، حيث التفت عيناه بعينيها عبر المرأة... وتمتم:

ـ لقد تصرفت بشكل ممتاز يا عزيزتي... إنك تستحقين مكافأةً على شجاعتك لكن ما أرجوه هو ألا تشعري بالارتفاع بعد مواجهتك العدو؟

ـ جاهدت لتبدو هادئة:

ـ أشعر بأنني على ما يرام... هل وجدتني كثير من الأقوال
ـ لتبوا بها؟
ـ كان يجب أن تبقى وتستمعي.

ومخالفاتها القرمزية نحو دياغو. أجبرت سبييل نفسها على دفع بعض النشاط إلى صوتها.

ـ احتاج إلى كوب من الشاي يتعشّى على الأرجح. سأتناوله في غرفتي إذ ربما تحتاجان إلى الكلام معاً.

ـ سحبت ذراعها من ذراع دياغو الذي لم يحاول منها بل قال:
ـ أجل... أصعدني إلى غرفتك واستريحي سبييل.

ـ فقلت فيروننيك:

ـ سلئتي ثانية.

ـ فردت سبييل.

ـ عمت مساء.

ـ سارت نحو السلم وهي تحس بالعينين الخضراء وينحرقان ظهرها...

ـ عندما وصلت إلى غرفتها تهدت ثم غرفت في المقد المريع قرب السرير الذي تصل قواطمه الأربع حتى السقف تقريباً. ونظرت إلى الفراش الواسع... لديها إحساس بأنها شاركته مع دياغوف... ولكن... هناك فراغ غريب داخلها... وكانت الذي حدث تحت هذه الملاءات، مهما يكن، كان ينقصه الحرارة والعاطفة.

ـ بعد وقت قصير أدخلت جيزيل الشاي والكايوك قائلة:

ـ تبددين مرهقة يا سيدتي...

ـ خلعت عن قدميها الحذاء، وأبدلتها بخف خفيف... وصبت لها فنجان شاي أضافت له ملعقتين من السكر.

ـ شكراً لك جيزيل.

ـ ارتشفت الشاي بامتنان... فقلت جيزيل:

ـ ليس من حقها المجيء إلى هنا! لم يعد لها مكان هنا!

ـ فابتسمت سبييل بتعب:

ـ حاولي أن تقولي هذا لها. إنها مذهلة الجمال قادرة على فعل

- أعرف متى أكون عبّاً.
- هراء.

أطبقت يداه على كتفيها... ولكنها الآن لم تكن راغبة في أن يلمسها، فأبعدته عنها... فقال:
- وهل غضبت؟ أنت من تركني وحدني معها... دعيني أذكرك بهذا.

- لم أطق نظرتها المتملّكة إليك... إنها تريد استرجاجك، ولن تتركي أقف في طريقها... لقد جعلتني أحس بأنني لا أنتهي إلى هذا المكان. وكأنها ما زالت تملك الحق في المعجب والنهاب من شامت. وهي تعرف أنها امرأة قادرة على السيطرة على الرجل.

- وأنت... أنت قادرة؟ كيف توقعين السيطرة على رجل إن لم تسمحي له بعلمتك؟
- أنا... لا أهتم بالآدباء... .

- تبدين رائعة في ثياب النوم، فلماذا أدعى؟
أعاد وضع أصابعه على كتفيها، دون أن يشذ عليها لثلا يؤلمها. شعرت بأن لمسه تذيبها... هل تذكره يعتلي صهوة جواده، يضعها عليه ويسير بها بين العشب المرتفع... ولكن أكثر أوجه علاقتها أهمية... لا تذكرها... بل تحييرها... يوم زفافهما... ليلة الزفاف... .

أحس بالخوف لأنها نسبت أشياء حدثت قبل ذلك الحادث السخيف قرب «نزل النورس»... ولكن لو تجرأت على قول هذا لدياغلو، فسيصر على عودتها إلى الطبيب. وهي لا تريد الدخول إلى المستشفى ثانية... خاصة في هذا الوقت الذي عادت فيه فيرونيك. عادت بكل وقاحة لظهور في المترجل... وستعود مرة أخرى. فكرت في نفسها: أنا أحبه... ولن أتركها تؤلمه مرة أخرى
سمعته يقول:

فردت بحياه:
- لا أتوقع منك الهدايا.
- وهذا يجعل الحصول عليها جميلاً، هـ
تحركت يده إلى جيبي، ووجد ما يبحث عنه، ووضعه على الطاولة أمامها... فحبست أنفاسها، إنه «بروش» أنيق عليه صورة ناة.
فشهقت:
- أوه... لا أستطيع...
- بل عليك.
فالقطعت البروش ولامست وجه الفتاة باصابعها:
- إنه جميل حقاً ماذا أستطيع أن أقول؟
- قوله هذا!

سحبها عن الكرسي وكانتها لا تزن أكثر من ثمرة تفاح. فامسك بها بين ذراعيه وقبلها على خدها... كان في قبته عطف للذيد، لم ترقب في مقاومته أو السيطرة عليه. عناقه فعل بها أشياء جعلتها راغبة في أن تكون عبدة لرغباته، فالتفت ذراعاها حول عنقه، تبادله عناقًا ناعمًا ينبع من صميم قلبها.
نظر إليها... ناظرا عينيه اللذين يلمعان خلف أهدابه السوداء كريش غراب حalk الامسوداد كشعره. وتنفس بعمق، وأحسست بتحرك صدره صعوداً وهبطاً من فوق قماش روبيها الرقيق. ثم، رفجاً سحبها معه إلى السرير... ثبّت نظرها به، تراقبه وهو يفك ربطه عنقه... وتکورت أصابع قدميها على الغطاء وأحسست برعشة الرغبة تسري من أصابع قدميها صعوداً، حتى جسدها.
كان الإحساس عميقاً وحمياً بحيث حبس أنفاسها... كان

أحست سبييل بالبرودة التي أحسست بها وهي في الرعدة عندما شاهدت ذلك الجسد المثير يجلس على الصندوق... جسد رائع للنظر... وبشرة ناعمة كأوراق الكاميليا.

«أكرهها! أكرهها وإن كان يحبها دياغرو!»
اتجهت إلى الخزانة لتعلق البروش على سترتها المفضلة... حيث بدا جميلا... إنه مكافأة على مواجهة فيروننيك... وهذه محبة لم تنته فصولها بعد اعتقدادها هذا أثبت صحته في الأيام التالية!

استمرت فيروننيك بالمجيء إلى البرج، بدعوة أو بدون دعوة، تحمل دائمًا عنراً مقبولاً. مرة ادعت أنها شاهدت لوحة رائعة وترى رأي باتروسها بها. ومرة ادعت أنها ترق للسباحة. كانت تحمل سلة طعام رغبت في مشاطرتها مع دياغرو وسبيل عند الشاطئ.

الخطير، أن سحرها لا يقاوم... فسرعان ما تلاشى عدم ثقة باتروسها بها... ومع أن صداقتهم الجديدة بدت في السطح ببراءة، إلا أن سبييل كانت واثقة من أن فيروننيك تستقطب شقيقة دياغرو لدعم حملتها. ومع مضي أيام الصيف بدأت سبييل تحسن بأن بفتها عليه تفلت من يدها... فله ولباتروسها أشياء كثيرة مشتركة مع فيروننيك. فلثلاثة عشر قديم للعروج والبحر... وللثلاثة حب لهذه الأصياع العميق الجنوبي.

شعرت بأنها مختلفة عنهم... فمظهرها طفولي بالنسبة لمظاهر فيروننيك، خاصة وهما في ثياب السباحة. بدت بشرتها أكثر إيفاضاً، وعظامها أرق وقدرتها على السباحة وامتناعه الخيل أقل من براعتها.

أعطتها دياغرو حصانًا اسمه «فرد» له قوائم طويلة متراقصة وطبيعة محبيبة. كان من أصل مولد هجين... لا يقارن مطلقاً بجوار دياغرو الأسود الجسور... ولا بذلك الجواري الناري اللون

يفك أزرار قميصه عندما عادت إلى التنفس... لكنه فجأة توقف... وراح يتمتم:
ـ ماذا أفعل بحق الجحيم؟

فرفعت نفسها على مرفقها ونظرت إليه حائرة:
ـ دياغرو؟ ماذا دعاك؟
ـ فقال بروحية:

ـ أنا؟ لا استطيع مطارحتك الغرام... هذا ما دعاني؟
خرج إلى الغرفة المجاورة صافقاً الباب وراءه بقوّة جعلها تجفل. حينها ماتت رغبتها المرتجفة، تاركة فيها إحساساً بالارتعاش... فجذبـت الأغطية حولها وأنهمرت دمعها على وجهها.

المسألة إذن أنه لا يستطيع الإحساس نحوها بذلك الشون المتعطش الذي تثيره فيه فيروننيك، وستبقى دائمًا. وفيروننيك تعرف هذا لذا رمت بعرض الحائط كل القيم والتقاليد وعادت إلى البرج لترى زوجته الجديدة. لترى جمالها... وشدة تأثيرها على رجل كان يوماً زوجها.

أحسست سبييل بإحساس حزين من الفشل... فحب رجل هو مصدر ألم أكثر منه مصدر سعادة، وذلك عندما يكون اهتمامه منصبـاً في اتجاه آخر. ما تعرفه جيداً أنها تحب دياغرو... ولكنـه لا يإدـلها الحب. بعد تنهيدة قصيرة مخنوقة نزلـت عن السرير وتوجهـت إلى طاولة الزينة حيث البروش، فأمسكتـه بيدها تحـسـ بالـحبـ تـجـاهـهـ لأنـهـ هـديةـ دـيـاغـروـ وـلـكـنـهاـ تـوـقـ إلىـ أنـ يـهـبـهاـ نـفـسـهـ...ـ كـمـاـ وـهـبـ جـسـدـهـ بـيـنـ العـشـ والـوـزاـلـ إـلـىـ فيـرونـنيـكـ وـكـمـاـ وـهـبـهاـ قـلـبـهـ.

حدقت عيناها إلى بـاـبـ غـرـفـةـ دـيـاغـروـ، بلـهـفـةـ تـدـفـعـهاـ إـلـىـ الدـخـولـ ولكنـ الخـوفـ منـ رـفـضـ أـخـرـ أـعـابـهاـ.ـ لـقـدـ شـاهـدـتـ الآـنـ فيـرونـنيـكـ فـبـاتـ تـفـهـمـ سـبـبـ عـجـزـهـ عـنـ نـسـانـهـ.

الذي يناسب فيرونيك وشعرها الأحمر. فوق صهوة الجراد، كانت فيرونيك متعدة للنظر، تعتليه بقلة اكترات... فكان أن انتهى بها الأمر إلى أن يرميها الجواد عن صهوةه، ويحملها دياغو على جواده إلى البرج.

كاحلها التوى بشكل سيء، واستدعي الطبيب لمعالجتها... عرفت سبييل ما سيحدث... وحدث!

فقد أبدت فيرونيك أسفًا شديداً على نفسها جعل دياغو يشعر بأنه مضطر لاستضافتها حتى يشفى كاحلها.

لقد حصلت فيرونيك على ما تريده، وعادت إلى المنزل الذي كان يوماً لها. ووصلت خادمتها ومعها شاحنة من الثياب، وحقيقة ضخمة تحوي أدوات التجميل... أحسست سبييل بالعجز وهي تراقب وصول هذه الأغراض، حتى كادت تحزم حقائبها وترحل... فهذا أفضل لها.

بينما كانت غارقة في أنكارها رن جرس الهاتف فتقدمت إليه لترد... فإذا بصوت رجل في الطرف الآخر من الخط يقول إن اسمه نيل ثروب يتحدث بلهجته تشويها لكتة أميركية:

- اسمع... هل أتحدث مع السيدة دياغو الجديدة؟
ابتسمت سبييل:

- أعتقد هذا... فأنا سبييل... السيدة روميلوس الجديدة.
صاح بصوت ضخم مقلدا صوت أورسون وايلز:

- سبييل... انه اسم مفضل لدى... كيف ترين ريفنا الجميل؟
أليس رومانسيا؟ لقد عرفت أن والدة الماركيزة من أصل فرنسي نبيل.

- أعتقد هذا... هل لي أن أسألك عن ترغب في محادثته. سيد ثروب؟

- كل شيء في أوانيه... أنا الآن أتمتع بالحديث معك
سبيل... هل قال لك أحد من قبل إن لك صوتاً ساحراً، وإنه غير

الهاتف يدغدغ الأذن؟
شاركت في تمثيلية خيرية مع أميركي... كان يطري قوائم الحمار.

- سبييل... لقد جرحت إحساسي. تلك حفنا صوت جميل،
وهذا يعني أن شكلك رائع كصوتك... فلديها ذوق رفيع
بالنساء... كيف حال العجوز؟

- لا أعتبره عجوزاً سيد ثروب... وهو بخير... هل استدعيه
لك؟

- ليس بعد سبييل... أظنك تعلمين أنني أعز أصدقائه؟

- لقد ذكرك أمامي... أجل.

- هل الأمور معه على ما يرام؟ لقد وصلتني الأخبار أنه تزوج
مجدداً. وأحسست بالألم لأنه لم يتصل بي.
- كانت علاقة عاصفة.

فرد بإخلاص:

- ما أشد سروري! كان هذا ما كنت أتمناه له بدلاً من حبس
نفسه مع الندم لأن زواجه الأول فشل. هل تعرفي شيئاً عن
فيرونيك؟

- أجل... وهي الآن عندها هنا... وقعت عن جوادها ولوت
كاحلها وستبقى هنا إلى أن تشفى.

صاد صيت رهيب قطعه بصوت أحش:

- يا إلهي! اسمع... سأدعوك نفسى للانضمام إليكم... هل
لديك مانع سبييل؟

- لا... أبداً... أرجوك أن تأتني!
كان عليها أن تقابلها، فقد شعرت به رفيقاً قد يساندها. إنه دون
شك أحد الرجال القلائل الذين تمكنا من الفكاك من سحر
فيرونيك.

لامست باتروسما الجرح في وجهها دلالة التوتر:
- صحيح؟

- ما في داخل الإنسان أهم من خارجه.
- أتكلمين عن نفسك سبييل؟
- ما أمله أن أكون أكثر رقة ولطفاً منها، وأن أكون جميلة مثلها.
- ما يرحب فيه الرجال هو الحب لا الإشراق... فقد سمعت...
صمنت، فتوترت سبييل، مما سينتهي إلى مسمعها:

- وماذا سمعت؟
- دياغو ينام في فراشه وحده ألم يفقد اهتمامه بك باكر؟
- إنه من سوء الخلق التحدث عن عادات شقيقك؟ أراهن أنه ما كنت لتجري على فعله قبل مجيء فيرونيك إلى هنا... هل هذا ما أنت عليه جاسوسية؟ تبشن في كل شيء لحسابها؟
فأحمد وجه باتروسما... فتابعت سبييل بهدوء:
- انتبهي لنفسك باتي... أنت تسمحين لشيطان رجيم بالهمس في ذاك. ولكنها لن تشكرك على قيامك بالعمل القذر لحسابها.. إلا
نهيمين هذا؟
- لا أرى أن دياغو واقع في حبك. إنه يبدو لي أحياناً بمزاج شرس، كأنه يمر بتجربة مريرة. أظنه أدرك أنه أخطأ خطأ كبيراً
بشأنك... فماذا ستفعلين لهذا يا سبييل؟

لم يكن لدى سبييل رد جاهز على سؤال مؤلم كهذا... كانت تحس بأن دياغو بعيد عنها، فهو نادراً ما يدخل غرفتها، وإذا التقى كانا كثريبيين يعاملها بتهذيب ولطف ولكنها تريد أكثر مما يقدمه،
تريد أكثر بكثير.
إنها زوجته وتريده أن يرحب فيها... في الليل أحياناً تفك
بالدخول إليه ولكن رفضه لها كان يصدّها. كان يمكن لكل شيء أن

- أنا في طريقكم سبييل. قد أراك في الغد.

- وهل أخبر سبييل بقدومك سيد ثروب؟

- لا... دعى وصولي مفاجأة للجميع. ناديني بيل.
لما وضع الساعاة، أحسست سبييل بالدفء لأنها جدت حليناً هو دياغو. كان في صوته ما يدل على سعادته لزواج دياغو منها ولكنه لا بد عرف أنها لن تكون نداً لفيرونيك التي يعرفها منذ زمن طويل.
- من كان على الهاتف؟

أجللت سبييل فالغفت لتوارجه باتروسما، التي أكملت:

- يا إلهي! إن النظرة التي على وجهك تظهر أنه كان معجبًا سريرًا
- بالتأكيد لا.

- لمَ هذا الذنب في وجهك إذن؟ أتعرفين نحن لا نعرف عنك الكثير قبل مجيك إلى هنا.

- كان لدى أصدقاء. ودودون لا يشبهون البتة أمثال فيرونيك.
- رغم ذلك أنت مجهرة لنا... وال المياه الصافية تكون عميقة
عادة. مع من كنت تتكلمين؟

- لست مضطرة لإعلامك... فلست أحد الخدم.
- حافظي على سريرتك وتحملي التتابع.

- وماذا تقصددين بهذا باتي؟
- أقصد أنني قد أقول لدياغو إنني ضبطتك تتحدثين على الهاتف
بطريقة حميمة وعندها سيسألك عن الشخص؟

- هل حرضتك فيرونيك على هذا؟
فنظرت باتروسما إلى ساعتها، وقالت لتهرّب من الرد:
- أتحرق شوقاً لبعض الشاي...
فقطّعتها متورّة:
- كلانا يعرف أنها تنوّي إثارة المشاكل.

يسير بنجاح لولا عودة فيرونيك لتفسد حياة دياغو من جديد.
من المؤسف أن فيرونيك لم تكسر رقبتها بدل لوي كاحتلها.

• • •

١٠ - برا ثم من حرير

أثناء وجود فيرونيك في المنزل، وجدت سبييل صعوبة في إبعادها عن تفكيرها. فقد سيطرت على خادمات المنزل إضافة إلى خادمتها للعناية بها... كان كل شيء ينفذ لها، فصوانى الطعام تصل إليها متى شاءت. هذا فضلاً عن التدليل، والعناية بالأظافر والتلفزيون، والهاتف الذي نقل إليها لتجري مخابرات بعيدة المدى ليس إلى باريس فقط بل إلى خارج فرنسا.

لم تكن تعبأ بأن للخدم عمل عليهم إتمامه وإن المكالمات تكلف مبالغًا إنها تتصرف في «البرج» وكأنها في فندق تدبره. لكن ما أثار سخطها أكثر هو تصرفات دياغو، الذي سمح لها بإفساد نظام المنزل... تاركاً لسبيل أمر تسوية المناكل التي قد تنتيج في المطبخ عندما تكثر المطالب على فنجان قهوة للخدمات المقطوعات النفس اللواتي يسرعن في الرد على نداء غرفة العريضة. لقد شكت في أن فيرونيك جميلة أفسدها الدلال، لكنها الآن أبطلت الشك بالبيتين، وقد شكت أيضًا في أنها تبالغ في ادعاء المرض لكنها الآن باتتأشد ذهولاً، لأن الطبيب خدع بأقوال فيرونيك فطلب منها البقاء في الفراش أسبوعاً آخر.

امتد الأسبوع أمام أنظار سبييل فقد ملأته بخداعها... فيرونيك تعرف مدى قدرتها على الرجال، ودياغو دون دفوعات، لأنه يوماً لم يخرجها من قلبها. بدا لسبيل أن زواجها منه ليس سوى

- كنت أعمل قبل زواجي من دياغو.
 - وهل سيسمح لك بمعاودة العمل؟
 - لم نبحث هذا الأمر.
 - وهل تشعرين بال الحاجة إلى العمل؟
 - لن يكون الأمر عملياً، فحياة دياغو هنا ولا أظنه يرضي بحياة مزدوجة... كنت واثقة من قبل أنني سأنجح في حياتي. فلم أتصور يوماً أنني قد أتخلى عن كل شيء لأصبح زوجة.
 تسللت شمس المغيب عبر النوافذ ناثرة هالة من الذهب الأحمر. ثم تعلالت دقات الساعة فتبيهت سبييل إلى واجب الفسافة.
 فقالت:
 - دياغو خرج لمقابلة أحد مستأجري الأرض... أنت دون شك تترقب إلى فنجان من الشاي. أم تريد الصعود إلى غرفتك أولاً. سيد ثروب؟
 - اسمى بيل... إذا صنعت السيدة ديسون إحدى فطائر الخوخ والتناول مع الشاي، فخذلني إليها سبييل.
 عندما وصلنا إلى غرفة الجلوس، نظر بيل فيما حوله، وتنهد سعيداً وجلس على الأريكة العريضة.
 - نيس هناك في العالم ما يوازي قصراً عريقاً كهذا.
 - هل تود الحليب مع الشاي سيد... بيل؟
 - مع السكر أرجوك... ما أصهر سعادتي بزواج دياغو من جديد. ليته أخبرني، لأنني كنت سأأخذ لنفسي دور أشينه من جديد. اعتقاد أن الأمر حدث فجأة؟
 أعطته فنجان الشاي:
 - أجل...
 ليته لا يلح عليها لمعرفة التفاصيل... فهي لا تذكرها، وما زالت تغيرها... إنها ضائعة في ذكريات فقدتها بطريقة ما.

حلم غير واقعي... فهو كان يتركها وحيدة ليلاً، تاركاً إياها دون دفاع تمسك به... ربما لا يريد لها أن تكون في المنزل مع فيرونيك... بل ربما لم يردها إلا وسيلة للدفاع، ندم عليها بعد ذلك.

ولم تكن تجرؤ على التفكير كيف سيتهي كل هذا.
 ثم وصل بيل ثروب... وأحسست سبييل ببعض التوتر يخفي عندما وجدته جذاباً كما بدا لها صوته على الهاتف.
 ولأنه لطيف، ولأن دياغو لم يقصد فيرونيك وتركها تحشر نفسها في حياته، استقبلت سبييل بيل بحرارة غير متوقعة استجابة لها فوراً.

وقف في الردهة ينظر فيما حوله قائلاً بلکنة أميركية كانت غريبة على أذني سبييل:

- المرء يخطو أحياناً عبر الزمن... تبدين مررتاحه هنا سبييل... على الأقل ظاهرياً... فهل أنت مررتاحه حقاً؟
 ولم تدر بماذا ترد، ولكن التقط ردها من صيتها، واكملاً:
 - فيرونيك؟ يا للجهنم... كيف سمع لهذا أن يحدث؟
 لاحظت أنه يشبه دياغو... شبهها مخادعاً ولكنه موجود...
 ولا بد أنه التقط فضولها من نظرتها فقال ضاحكاً:

- أنا ودياغو قيبيان من بعيد... أنا من الجهة الخاطئة من العائلة... فتاة من عائلة روميلوس أحببت شاباً فقيراً تزوجته وهربت معه إلى أميركا... ومن سوء الحظ أن الشاب انخرط في شجار أودى بحياته طعناً بالسكين قبل أن يصل... وكانت الشابة، وهي جدة أبي، قوية الروح استطاعت النجاح في العيش مع طفلها إلى أن تزوجت من رجل غني فبقيت في أميركا.

- أنت فنان كما ذكر؟
 - أجل... وأنت؟

طوال الوقت تستحوذ على اهتمامه. ليس معي سلاح أقاتلها به.
فليدي كرامتي! ولن أرمي نفسي عليه لينظر إليّ وكأنه يريد الخلاص
مني... الأمر مؤلم!

- ومع ذلك فقد تزوجك أنت... فلماذا يفعل هذا إذا كان ما
تقولينه صحيحاً؟

- لقد ظن أن بإمكانه نسيان فيرونيك. ولكنه لم يستطع. فما إن
شاهدتها مجدداً حتى اختفيت من وجوده... رمانى إلى الظل بينما
تصدرت هي الواجهة...

فجأة انفجر الألم العميق في داخلها وانخرطت في بكاء مرير.
دفت وجهها بين يديها، فدنا منها وضمها بين ذراعيه.

- لا تبكي... إن بكيت فهذا يعني أنك استسلمت إليها...
وهذا ما تسعى إليه. تريده أن تنهاري حتى لا تقدري على الوقوف
في وجهها... أنت زوجة دياغو الآن! ولنك حقوق تجاوزتها... يا
فتاتي، أنت لم تكوني هنا في الأيام الماضية لتعرفي ماذا فعلت
به... لقد قطعت قلبها نصفين... وستمزقه إربا هذه المرة إن
استولت عليه! فتشجعني يا فتاة... فهذه ليست طريقة للتصريف! هل
شاهدت أيّاً من لوحاتي؟ لدى دياغو بعضها.

- أجل... رأيتها وهي جميلة.

- شكرًا... أظنتني ساحب رسمك وأنت على شاطئِ الخليج
الإسباني... حيث مياه البحر تزحف إلى الرمال وراءك... أتعلمين
لولا معرفتي بزواجهك لما صدقت أنك زوجة مطلقاً.

- ولماذا تريدين رسمي؟ فلست جميلة مثل فيرونيك.

- لا يا سبييل ولكنك فتاة غافلة وهذا نادر.

- نادر؟ أنا فتاة عادية في وضع غير عادي.

- الفتيات العadiات لا يتورطن في مثل هذه الأوضاع. فلا
تبخسي نفسك معها، فأنا أعتقد أنك فتاة تصرين بكل شيء في سبييل

- كيف كانت ردة فعل باتروس؟
ارتشفت سبييل شيئاً من شايها وأجبت:
- وكيف تتوقعه؟ إنها متزمنة، تنظر إلى على أنني غريبة...
فلبس الذي جمال فيرونيك الأخاذ... ولا أوازي العاطفة التي ما
زال يحلم بها، حسب قول باتي.

- وبماذا يحلم حسب رأيك سبييل؟
فهزت كتفيها وقالت:
- فيرونيك هنا في المنزل، وأظن هذا يجيب عن سؤالك.

- ربما كان مضطراً للضيافة بعد أن وقعت في أرضه. فدياغر
يلزم نفسه بواجباته فلا تقفز إلى استنتاجات قد تؤثر في زواجه كما
سبيل... فلك وجود خاص بالنسبة إليها... هل فهمت ما أقصد؟
وفي هذا المجال الخاص قد تلاحظين التغيير... لكنني لا أنصرور
أنك لاحظت أي تغيير.

- ولكني لاحظت!
لاحظت ردة فعله فوراً من جموده وهو ينظر إليها.

- أنت لا تعنين...
لقد فقد دياغو اهتمامه بي.

- هذا غير صحيح... سبييل.

- ما كان علي أن أتزوجه... لقد أخبرني عنها، ولم يحاول
إخفاء شيء. وبقي يقول إنه بحاجة لي... وقبلت.وها قد قلت
حياتي رأساً على عقب. وهذا ليس عدلاً... ليس بعد أن خططت
لحياتي... فأنا بالتأكيد لم أنجح في دور الزوجة!

- أيتها المسكينة، أنت في مأزق... وهل تحبينه كثيراً؟
إذا كان الحب يؤلم... فأنا أحبه.

- إذن بالله عليك قاتلي... إياك أن تأخذه منك.

- ألا ترى... أنا لم أحصل عليه فعلاً... بينما كانت هي

ما تؤمنين بأنه حبك... ماذا بشأن حبك؟

- لست واثقة من عدة أشياء... أحارول إقناع نفسي بأنني في بيتي... ولكن كل ما أحس به أنني زائرة توشك أن تنتهي زيارتها.

- هراء... فيرونيك هي الزائرة وموعده نهاية زيارتها يوشك على الانتهاء.

- ولكنها لن ترحل. يجب جرّها من أذنها، وهذا لن يحدث... لقد أحضرت كل ثيابها وأغراضها... وقد ذكرت خادمتى جيزيل أن كل ثيابها معلقة في خزانة غرفة نومها... وهي تتصرف وكأنها في بيتها.

- وهل يعلم دياغو بما تفعل؟

- طبعاً!

- ولكن الرجال غالباً لا يلاحظون ما تلاحظه النساء.

- دياغو يلاحظ كل شيء له صلة بها... فعندما أراه معني حائراً، ضائعاً في أفكاره أعلم أنه يفكر بها. وعندما أنظر إليه يتجنبي. إنه دون شك آسف على زواجه مني

فنظر إليها بيل... ومررت عدة لحظات صمت، ثم قال:

- إذا كان الأمر هكذا فماذا ستفعلين؟

- سأتركه!

- ولكنك تحبيته... وليس من السهل التخلص عن الحب.

- لن أتخلص عن حبه، سأحمل حبه معني. إنه هنا... في داخلي... لامست صدرها... فقال بدهول:

- هل هو طفل يا مسييل؟

فصاحت بسخط:

- ماذا تقول؟

- تعرفي ما أقول! إذا كانت فيرونيك قد أثرت فيه من جديد،

نعارضها بنفس قدرتها!

- ماذا؟ وهل أدعى أنني... حامل؟

- أجل... فدياغو يريد أن يرثه ابنه، وهنا نقطة خياله. فافعل ما فعلته غيرك من النساء ممن كن في موقفك. ظاهري بأنك حامل...

- لا أستطيع... مستحيل!

- أتفضلين أن تأخذه منك؟

- لا!

- إذن ما الخطأ في خدعة صغيرة إذا كانت على المدى الطويل نسب في مصلحته؟

وتمتنع:

- خدعة؟

أحست بقشعريرة تسرى في أوصالها، من مؤخرة عنقها حتى أسفل ظهرها:

- لن أقدر على خداعه، فأخشى أن يكتشفها... ولن يسامحني عندها أبداً!

- ولكن فيرونيك فعلت أسوأ من هذا به.

- إنه يحبها... ولم يتوقف عن حبها... فنـ حين أنا بالنسبة

إليـ لا شيءـ مشاعره نحوـي تلاـشتـ.

- لا تستسلمـ يا فـتـاتـي لـلـيـأسـ.

ولم تدر بما تجيبـ، ولكنـها أـحسـتـ بـأنـهـ صـادـقـ مـخلـصـ.

وأـحسـتـ بـالـرـاحـةـ لـكـلامـهـ...ـ فـيـ هـذـهـ اللـحظـةـ انـقـسـتـ حـطـبةـ فـيـ

الـمـوـقدـ بـصـوـتـ مـرـتفـعـ وـأـرـسـلـ شـرـارـانـهاـ إـلـىـ المـدـخـنـةـ.ـ وـحـدـقـ بـيلـ

إـلـىـ النـارـ قـائـلاـ:

- عـندـماـ أـنـظـرـ إـلـىـ النـارـ،ـ أـنـذـرـ فـيـروـنيـكـ،ـ وـمـنـظـرـهـ الشـيـءـ يـسـاحـرـةـ

الـنـيـرانـ وـأـنـذـرـ أـيـضاـ تـلـكـ اللـيـلـةـ الـتـيـ تـزـوـجـتـ فـيـهاـ دـيـاغـوـ...ـ لـقـدـ

الا يستحق دياغو كذبة كهذه؟
فحبست أنفاسها وهي تفكر فيه... في الرجل الفخم الأسم،
ني اليدين الخشتين اللتين تتصورهما تمران فوق بشرتها، فتذيبانها.
قالت بهمس:

- بلى... اوه... بلى!
- إذن نفذني!
- وهل أجرؤ؟

- لقد تجرأت على الزواج منه.

هذا صحيح... فأنا زوجة دياغو... وليس تلك المرأة الملعونة القدم المستريحه فوق الوسائد، في غلالة نومها الشفافة المفتوحة اليابقة التي تكشف بها عن صدرها. تفوح منها رائحة المسك والعنبر كفمامه حولها، بينما يتشر شعرها الناري كهالة نحاسية حول رأسها.

الكراميه تصاعدت في نفس سبييل، إلى أن أحست بها تكاد تختفها... أجل... إنها مدينة لنفسها بأن تقاتل... إنها تحب دياغو لنفسه ولا تسع لاستعباده بجمال جسدها... صحيح أنها لا تماطل فيروننيك بجمال جسدها وخبرتها. ولكن كما قال بيل: لا شيء يمنعها من استخدام وسائل مخداعة.

انضمت يدا سبييل في حجرها... هل ستتجزئ على القول لدياغو إنها تحمل طفله في أحشائها؟
تقلصت أعصابها في داخليها... وشعرت بالرعب فإن أقنته بحملها، عليها العمل لتصبح الكذبة حقيقة.

- بيل؟...

دخل دياغو في تلك اللحظة الغرفة. ثم وقف مذهولاً لرؤية أعز الأصدقاء.

- لقد ظننت أن تلك الحقيقة حقيقة أخرى لفيرونيك!

شاهدت بوضوح ما يختفي وراء ذلك الجمال الجسدي... ولكن كان الأوّان قد فات، وتزوجها، ومن المؤسف أن يكون الزواج قد انقلب في الطريق السهل... سبييل... أنت مختلفة... فتمسكي به يا صغيرة... لأجله هو

فتمتّمت:
- وماذاعني؟

- وهل مستخلين عن كل شيء...

- أجل... لأنني لا أذكر أني قطعت له الوعد المقدس.
شرحـت له ما حصل عند العيناء وكيف صدمـتها السيارة...
قال:

- وإن يكن؟ فالمتزوجون عادة يتخاصـمون ثم يتمـتعون بالصلـح... تقولـين إنه حصل لك ارتـجاج في الرأس؟

- ارتـجاج طـفـيف ولكـنه أـفـقدـني بـعـض ذـكـريـاتـي. فأـنـا لا أـذـكـرـ ما كـنـت أـرـتـديـه يـوـمـ الزـفـافـ ولا أـذـكـرـ ما قـلـتـه يـوـمـذاـكـ... قد تـعودـ ذـاكـرـتي إـلـيـ يـوـمـأـ... ولكـنـ فيـوقـتـ الـراـهنـ... لا أـذـكـرـ.

سـاعـدـهاـ الـكـلامـ معـهـ، ولكـنـ لمـ يـحلـ أيـ شـيـءـ حقـاـ. كـيفـ لهاـ أنـ تـصـفـ مشـاعـرـهاـ الـحـقـيقـيـةـ عـنـدـماـ يـتـنـظرـ إـلـيـهاـ ديـاغـوـ تـلـكـ النـظـرةـ
المـبـاعـدةـ، بـلـطـفـ مؤـدـبـ وـيـترـكـهاـ متـجـهاـ إـلـىـ غـرفـتهـ.

لو... وخفـقـ قـلـبـهاـ بشـدـةـ... كـانـتـ لـديـهاـ الشـجـاعـةـ الكـافـيـةـ
لـتـظـاهـرـ بـأنـهاـ تحـمـلـ طـفـلـهـ...! عـنـدـهاـ سـيـرـغـبـ فـيـهاـ... لـنـ يـدـعـ
فيرـونـيـكـ تـقـفـ فـيـ وجـهـ طـفـلـهـ... اوـهـ... ياـ إـلـهـ... ماـ أـرـوـعـ أـنـ
تـهـبـ طـفـلـاـ فـيـ حـيـنـ مـلـبـتـهـ مـنـهـ فـيـرونـيـكـ!

التـفتـ إـلـىـ بـيلـ:

- بـيلـ... أـنـتـ تـشـجـعـنـيـ عـلـىـ أـنـ أـكـونـ شـرـيرـةـ...

- لـنـ تـكـوـنـيـ شـرـيرـةـ وـالـشـيـطـانـ نـفـسـهـ يـقـدـمـ إـلـيـكـ مـفـتـاحـ صـنـدـوقـ
الـآـلـامـ. وـلـنـ تـكـوـنـيـ الفتـاةـ الـأـلـىـ الـتـيـ تـسـرـدـ زـوـجـهاـ بـهـذـهـ الطـرـيقـةـ...

التي تعمل مربية أطفال في بلجيكا.
ارتسمت ابتسامة على وجه دياغو.
ـ لقد تمنت بيوني...
وصلت القهوة... فاستغرق الرجال في الحديث... فسألت
سييل من الغرفة... إنها بحاجة للتخطيط للشجاعة لتفند
مخططها.
ازدادت قوة عزيتها عندما مررت أمام غرفة الفيوف الكبيرة،
التي سمعت من خلال بابها صوت فيرونيك وهو يصدر الأوامر
لخدمتها بلهجة تنم عن عجرفة وإهانة.
ـ أيتها الفتاة الحمقاء... الحرير لا يصل بالماء الحار... بل
بالفائز... انظري ماذا فعلت بشبابي الداخلية... هل اعتتقدت أنني
ساعطيك إياها إن فضلت.
تبع تلك الكلمات صوت تعزيق القطعة ثلاثة تعطى لها للخدمة.
ووقفت سييل متربدة في الممر، أرادت أن تقتحم الغرفة وتقول
لفيرونيك إنها عاهرة، وان عليها أن توضب حقائبتها وتخرج من
المنزل. ولكنها سمعت فيرونيك تكمل:
ـ اغرين عن وجهي الان... سأناه حتى السادسة لاستحم،
وسأنزل لتناول العشاء... سأرتدي ثوبي العاجي اللون المزين
باللولو الأسود.
ـ ولكن... لن تستطعي السير على كاحליך المصابة سيدتي!
ـ سأنزل محمولة على ذراعين قويين، كنت متزوجة من
صاحبها... الذي طالما حملني.
كان المعنى واضحًا أمام سييل، التي هربت لتبتعد عما
تسمع... ليس هناك من مهرب مما يجب أن تفعله لإنقاذ دياغو من
برائحة فيرونيك.

توقف صوته وكأنه اصطدم بوجود بيل...
شعرت سييل بالذنب. إن هذين الرجلين متشابهان... ولكنها
تعلم جيداً أنها مختلفان جداً في الطياع والعاطفة... فدياغو
تحكم به عواطفه بشكل أعمق من بيل. وفي الوقت نفسه لديه
المقدرة على السيطرة على تلك العواطف.
حرك حب كبير قلب سييل... فلعلت عندها بالذات أنها قد
تخلت عن روحها في سبيل محبة دياغو لها... أحسست بألم وغضب
أن تكون فيرونيك تسعى إليه ثانية...
ـ «أقتلها أولاً»... فكرت في الحل الذي أشار إليه نيل...
مستكلب ثلاثة ترى تلك المرأة من جديد تتربع في قلب دياغو ومتلهلة
ـ إنه لي...! هزت رأسها بقوه «لي!».
والتفت بعيني دياغو، ولم يكن لديها فكرة أن عينيها أصبحتا
بلون الزمرد من تصارع الأفكار في رأسها...
تصافح الرجال، بينما استدعت سييل الخادمة لتجلب لها
القهوة... وجلس دياغو ثم مرر يده على شعره... وابتسم:
ـ بيل... ما أروع أن أراك من جديد... كان على النهاب
لشوية خلاف مع مستأجر. أنت تعرف لازاروس العجوز مستأجر
المotel الحجري في المزرعة البعيدة... إنه مستأجر قديم... كان
العجوز يستخدم قصعة صينية قديمة ليشرب منها الكلاب عندما
وقدت عيناً كاهن المتنقة عليها وقد جاء يجمع بعض الأشياء
لمبيعات خيرية واعطاه لازاروس القطعة... ولكن يبدو أن الكاهن
عرف قيمتها الحقيقة فنفذهها جيداً ثم سأل باائع الأثريات عن ثمنها
فذكر الأخير أنها ثمينة تساوي مبلغًا محترمًا من المال. وما إن علم
لازاروس بذلك حتى طالب بالقطعة، ولكن الكاهن رفض متذرعاً بأنه
اشترىها ودفع ثمنها. فلجم العجوز إلى التحكيم... فحكمت أن
يتشاركاً فيها مناصفة وسيستخدم العجوز لازاروس حصته لزيارة ابنته

١١ - ضحكات حبي

- شكرأً.
- هل هو لتكريم بيل؟ لاحظت أنك اتفقت جيداً معه، ولكن يبدو أن معظم النساء يعجبن به. إنه يغازلهن جميراً ولا يتزوج أياً منها.

- لأنه حكيم ربما.

- وهل تعتقدين أن الزواج ليس بالأمر الحكيم؟

- ألا تظنه كذلك؟

حتى وهي تتصل حذاء عالياً كان عليها أن ترفع رأسها إليه، عباءة كأنهما كالذهب لمعانها. قسماته متوجهة ومتابعة. حتى وهي تنظر إليه أحسست بحواجز بينهما، تزداد مع الوقت قساوة... ليس من الصواب أن تكون هذه الحواجز حيث هي، خاصة بين شخصين مما زوج وزوجته.

أحسست برغبة عارمة، في أن يحتويها بين ذراعيه ليتحققها في ثوبها الحريري فوق جسله القاسي الدافئ... . ولكنه لم يظهر نية في الدنو منها... وهي تعرف السبب... إنه يريد تكثيف الحواجز بينهما لأن الحواجز بينه وبين فيرونيك أخذت تتحطم.

- سيدتي أ

التفت دياغو لينظر إلى خادمة فيرونيك.

- سيدتي تود العشاء مع العائلة سيدتي... وتسألك إذا كنت قادراً على حملها إلى الأسفل؟

نظرت سبييل إلى وجهه لترى ردة فعله... ولكنها لم تجد في وجهه بارقة تدل على التوق لتنفيذ ما تريده فيرونيك.

- حسناً(قال بأدب). سأحضر إليها بعد لحظات.

ابعدت الخادمة. وعندما نظر إلى سبييل قال:

- انزل إلى غرفة الاستقبال وتناولي شراباً... فأنا واثق أن بيل سيكون مسروراً بتسليتك.

الفستان الحريري الجميل، المترموج بين خضراء لون البحر وزرقته كظلال عالقة، الشعر لامع كبريق مشع. البشرة والشفتان مزيستان كلوجة فنية. أما القدمان فيكسوهما حذاء فضي عال. جعلت سبييل نفسها تبدو متألقة قدر المستطاع. ذلك المساء وقفت قرب نافذة في الرواق العلوي، تستجمع جاذتها لتنزل إلى غرفة الاستقبال. وتشتقت الهواء النقي القادم من الحقول عبر النافذة، وأحسست في ذلك الهواء رائحة البحر اللاذعة. فوق قمة برج القصر وسفنه المثلث الشكل كان يرتفع قوس خفيف للقمر الجديد... فتمتنت أمينة في تلك اللحظة... وتتوسلت إلى سحرة القمر أن يساعدوها على تحقيقها.

كانت مستغرقة في أفكارها إلى درجة جعلتها تقفز مذعورة عندما لامست يد ذراعها. التفت فوجدت دياغو قربها. طويلاً، ومؤثراً في بذلته السوداء... وقفت جامدة، غير قادرة حتى على الابتسام بينما عيناه تجوبان فوق جسدها... ثم تتمت:

- تبدين مميزة! لم أشاهد هذا الفستان من قبل... هو ليس مما اشتريته؟

فهزت رأسها:

- إنه ثوب الخاص للاحفالات... هل يعجبك؟

- إنه رائع عليك.

غرفة الاستقبال، دون أن تنظر خلفها، رغم إحساسها به يقف في مكانه جامداً مصعوباً.

لم تخطط إلى قذف الخبر في وجهه قذفاً كما فعلت الآن، بل كانت تخطط إلى إخباره في غرفة النوم، حيث الأضواء ناعمة، والمسرح معد لها لترمي نفسها بين ذراعيه، كي تسهل عليها اقناعه بأن الزيف أصبح واضحاً.

دخلت سبييل غرفة الاستقبال، فوجدت باتروسا تلعب الشطرنج مع بيل الذي طالعها بابتسامة ردتها بأخرى قبل أن تريح ركبتيها المرتجفتين على مقعد... لقد تم لها الأمر... ورمت يقبتلتها على آمال فيرونيك وما تبقى الآن هو بين يدي دياغور ليقرر ما إذا كانت جاذبية امرأة أقوى من رغبته في حمل وريث روميلوس بين ذراعيه.

سمعت باتروسا تقول:

- صبي لنفك بعض شراب الكرز... قال لي بيل إنه هو من كان يكلمك على الهاتف... لماذا لم تخبريني؟

فرد بيل:

- أردت مفاجأتك... أبعدي البيدق قبل أن أستولي عليه.

- بإمكانك الاستيلاء على متى شئت يا بيل.

- لا تغرينني... خاصة أنك الليلة ترتدين قستاننا رائعاً بدلاً من سروال الخيل، لماذا كل هذا التألق الذي يبدو عليكم؟

قالت باتروسا ضاحكة:

- لك أن تحزرا

- أظن أن أحد الآلهة سيعيش معنا... وانتما تريدان التنافس... هكذا هو الأمر؟

فاستدارت باتروسا إلى سبييل:

- أهكذا هو الأمر سبييل؟ يا إلهي... لقد قمت بجهد للتألق! فاحمر وجه سبييل... واحسست بالحرارة.

- تماماً كما ستكون فيرونيك مسرورة بتسليتك؟
فرد بهدوء:

- إنها خيبة هنا. وعائلة روميلوس تقوم بما في وسعها لتلبية رغبات القبيح.

احسست بالرجلة تجتاحها... قالت بصوت مهتر:

- لا تدفعوني إلى الحافة سبييل... فسيطرتني على أعصابي ليست مطلقة.

- عن أية حافة تتكلم؟

- لا تعلمين؟

خفق قلبها... أجل... إنها تعلم... تعلم أنه معلق عند حافة الوقع في حبائل فيرونيك بالقصوة نفسها التي وقع فيها منذ زمان طويل... قبل أن تلتقي هي به في ليلة ظلماء... في الحقول.

- من الأفضل إذن أن لا تتركها متتظاهرة
وحاولت أن تخطو لتجاوزه... ولكنها بقيت لسد عليها الطريق... فشرعت بالتهديد المتطاير من عينيه... شيء ما تحرك مشتعلة في دمها... وصاح بها صوت خفي... الآن... قولتها
الآن!

خفق قلبها وهي تقول:

- بما أن الوقت مناسب الآن... فمن الأفضل أن أخبرك أنني انتظر طفلاً.

كان صمته كصمت العاصفة... فأحس... معه بأنها ترتجف من قمة رأسها حتى أخمص قد미ها... ثم اندفعت تتجاوزه تنزل السلم بسرعة لتصل إلى الردهة وكأنها طارت فوق الدرجات راكضة نحو

- أوه... إنه ثوب قديم... كنت أملكه منذ زمن بعيد.
نفخت تنورة الفستان، فلم تلاحظ أن أحد طرفيه قد اقترب من النار. قال بيل:
- لونه يلائمك تماماً... هل تريدين شراب الكرز؟
- أرجوك...
ورفع بيل كأسه بعد أن أعطاها كأسها وقال مرحباً:
- نخب حظي الكبير... صحبة فتاتين جذابتين... هذه هي نظرتي إلى الفتاة.

فقالت باتروسما بإغراء:
- ألن تكون صحبة فتاة عزياء أفضل لك؟
كانت ترتدي ثوباً أسود ذا كمبي شفافين، وكانت قد سرحت شعرها الأسود إلى الوراء ووضعت فيه مشطاً إسبانياً... وإذا كان في عائلة روميلوس دم إسباني فهو يظهر بكل تأكيد في باتروسما... أحسست بسييل بأن شقيقة دياغو منجذبة إلى نيل، مع أنها لا تعرف ماذا تفعل، فهو صديق أخيها منذ زمن بعيد ولا تدري ما إذا كانت يجب أن تعامله معاملة الأخ.

أشفقت عليها سييل فباتروسما قادرة على التعاطي مع أشرس أنواع الجياد... ولكن التعامل مع رجل أمر أكثر تعقيداً.

سمعت باتروسما تكمل حديثها السابق:
- أم تظن أن في الكثير الأمان؟

فابتسم بيل... ونظر إلى شرابه الأحمر، وأجاب:
- معظم الرجال يا باتي، يشبهون النحل... انهم يرتشفون رحيق كل زهرة تسمع لهم بهذا. وبالطبع عندما ينجذب النحل إلى زهرة محددة، يرغب في ملازمتها، وعندما لن يجد السعادة في التنقل... أليست الطبيعة غريبة ومرعبة؟

نظرت إليه باتروسما بعيتين مسحورتين سوداويتين:

- لو لم تكن رساماً يا بيل لكنت شاعراً.
- لغة الحب، لغة تموت اليوم... ففي ما مضى كان لكلمة حب معنى... ولكنه اليوم أصبح مرادفاً للجنس.
أجلت سبييل، هل صحيح أن الجنس غداً أهم من الحب اليوم؟ إنها تعلم أن نظرة دياغو إليها تجعل قلبها يتحقق بسرعة، ولكنها كذلك تشعر بلهفة إلى الاعتناء به، وإلى من الأذى عنه، صاحت:

- لا تقل هذا عن الحب! فماذا تساوي الدنيا دون حب؟ إنه دافعنا إلى الحياة؟ كنت في الماضي أظنها مجرد كلمة في أغنية... كلمة يستخدمها الرجل ليجذب الفتاة إليه. ولكنني لم أعد أظن هذا، فالحب موجود وبإمكانك الإحساس به عند تلمس شخصاً تحبه!
- أنت محققة سبييل... ولكن ما يحدث هذه الأيام أن الناس يرفضون إعطاء أنفسهم كل أنفسهم فهم يعطون أجسادهم فقط بينما يبقون أرواحهم في ثلاثة، وهذه الثلاثة تقتل الحب... وهنا يقع الأسف.

فقالت باتروسما:

- أنت ترعبني بكلامك هذا.
جلست سبييل تحدق إلى خاتم الزواج في أصبعها... فنافت إلى اتحام السد الفكري الذي يمنعها من تذكر ما أحسست به ونافت إلى أن تعرف إن كان هناك في عيني دياغو تلك الليلة دفء بدل هذا البرود المتجمد.

ماذا جرى بينهما ليلة الزفاف... أكان بيتهما حنان ثم حب جامح، أطاح بتفكيرها بعيداً عن جسدها بحيث لم يبق فيه سوى حب دياغو... .

بينما كانت تسعى للرد على تساؤلها... دخل دياغو غرفة الاستقبال يحمل فيرونيك بين ذراعيه... كانت صورة حية قاسية

ثم التفت إلى دياغو وراحت عيناهما تهبط وتعلو فوق جسده... فاحسست سبييل بأن عليها الهروب من هذه الغرفة... إذ لم تعد تطيق منظر أو رائحة هذه المرأة. فقفزت واقفة، ولكنها أثناء وقوفها طارت شرارة من النار فحطت على طرف ثوبها الذي افترب من النار في وقت سابق دون أن تتبه. فثبت النار في الفستان وتعالى الصراخ... ولكن ليس من سبييل... بل من باتروس...

- يا إلهي... احنري يا سبييل.
أجل دياغو... ونظر... ثم قفز، وفي الوقت نفسه جرّ غطاء البيانو الثقيل، وراح يضرّب سبييل به إلى أن انطفأت النار بعد أن التهمت جزءاً من الحرير، لكنها تآذت من ضربه أكثر مما تآذت من النار... وتحركه السريع منع عنها الحريق... ولكن لم يمنع عنها الصدمة.

صاح بها:

- أيتها الحمقاء اللعينة! لماذا جلست قرب النار هكذا؟
- و... ربما لاتدفأ! فكل... كل ما... ما أحصل عليه منك هو البرودا ليتنى لم التي بك... بل ليتنى لم أتزوجك.
كانت تحس حتى وهي تنفوه بالكلمات بزيتها... فاقترباها من الخطر أطلق في ذهنتها الحقيقة كشحنة تعى البصر... فيها خطر السنة النار نفسها وهي تلتهم فستانها. وارتجمت فالحقيقة صدمتها... إنها دياغو لم يمرا بمراسم زفاف معا... كل ما جرى كان مزيفاً لخداع فيروننيك... لم يكوننا يوماً زوجاً وزوجته... وهي... بكل جهلها... قالت له إنها تحمل طفله.
علمت أن لونها أبيض من الشحوب واحت وكتانها طرحت في مستنقع...

في هذه اللحظة تعالى صوت فيروننيك ضاحكاً وكأنها شاهدت مشهدًا مضحكًا «أليس من الأفضل أن ترحل، على بقائها حملًا

دخلت كالمسكين إلى قلب سبييل... النراعان الجميلتان تلتغان حول عنقه والرأس الناري يقع على كتفه حيث تلمع عيناهما... ثم لم يلبث أن دوى صوتها.

- يا أحبابي... انظروا إلى... أنت شجاعة؟ لم استطع تحمل البقاء وحدّي وإنتم مجتمعون هنا... أليس دياغو قويًا... ولكنك كنت دائمًا قويًا... أليس كذلك حبيبي؟

تقدم يحملها إلى مقعد طويول لكن حين أنزلها بقيت ذراعها حول عنقه... الغطرسة والوقاحة تطل من كل حركاتها... فلم تستطع سبييل التحمل. خاصة بعد أن شاهدت طرف لسان فيروننيك يمر حول شفتيها الحمراء... فبدت فاسقة مثيرة كرسومات «روبرن» العارية.

وغضّاصت في المقعد، فاستقام دياغو ليصلح ربطة عنقه، والتفت إلى بيل:
- مرحباً بيل... أنا أدعى الآن فيروننيك سيدة عزبة بوردي...
الآن يبدو هذا نقباً عظيمًا؟
رد عليها ساخراً:

- لم يقل لي أحد إنك الآن أرملا طروب.
- أجل... هكذا أصبحت، وهذا رائع.
نظرت سبييل إلى دياغو الذي يدير ظهره إليها، وكأنه يتتجاهلها.
وقدم بيل لفيرونيكيك كأس شراب:
- وكيف مات... هل سمحت له؟
فضحكت:

- بيل... حقاً لقد مات لأسباب طبيعية.
- وهل أرهقته يا حبيبي؟
- بإمكانك قول هذا... كان المسكين يعمل جاهداً... في تلك المؤسسات.

ثقيلاً.

عم الصمت يأثر كلماتها تلك، ثم هب دياغو غاضباً كال العاصفة نظر إلى فيرونيك قائلاً بحدة قاطعة:

- ذقت الأمرين منك! لقد ضيق ذرعاً بك!... أبعدني نفسك عن متزلي هذا أول ما عليك فعله في الصباح... وإذا كنت تحبين المحافظة على عنقك فلا تظهرني نفسك أمامي ثانية! سأقتلك إن فعلت! وسانهي ما كان يجب أن أفعله بك!

أحست سبييل وكأنها تسمع كلماته وهي في سبات اللاوعي فدخلت الكلمات ذهنها وخرجت منه... وكانت ساقاها قد بدأت تللاشيان من تحتها عندما رفعها دياغو عن الأرض يحملها بين ذراعيه... أمام ناظري فيرونيك... وأمام أنظار شقيقته... وصديقه... الذي عرف حقيقة فيرونيك منذ سنوات بعيدة في وقت كان دياغو معنمي بسحر جمالها.

ولكنه لم يعد أعمى... كان ينظر إلى سبييل وعيناه كالذهب الخام، في إطار من نار لم تر له أن يخبو... أبداً. نظر حوله في الغرفة حيث تجلس فيرونيك كمثال رخام:

- أترین هذه الفتاة...؟ إنها تساوي مئية من مثيلاتك فيرونيك... وكل ما أرجوه من الله أن أكون جديراً بها.

فردت فيرونيك بوقاحة:

- أنت كتز من العمال لها.

- اذهب إلى الجحيم!

كان كلامه مهيناً بقدر ما في الاتهانات من وحشية... ثم خرج من الغرفة حاملاً سبييل، وعبر الردهة ثم صعد السلم الخشبي الأسود.

واسترخت سبييل بين ذراعيه... وتلاشى كل ألمها لتحل محله السعادة... لقد قال لفيرونيك أن تذهب إلى الجحيم... وكان

على وجهه نظرة تقول لها إنه يحملها الآن إلى الجنة.

- أنت محالة لعينة... لقد كدت أقفز رعاً عندما اختلت تلك الرواية عن... طفل... فما الخطب؟

دفنت رأسها في كتفه:

- كنت أظنتنا زوجين حقاً... وكنت خائفة حتى الموت من عودتك إليها...

قال لها بصوت مليء بالألم:

- كيف بالله عليك اعتقدت ذلك؟

- كنت تتصرف... ببرود نحوى... وأبعدتني عنك...

- صحيح... لأنك كنت تظنني أنا حقاً متزوجان. ولو كنا كذلك يا فتاتي، لما تركتك تナامين وحدك في ذلك السرير الكبير... ولما صدحتك!

تأوه... ثم ضمها إلى صدره حتى شهدت من الألم.

- كيف أعتبر... كيف أعتبر لك عن مدى حبى؟ مشاعرى أعمق من أي كلمات... أنا لست كبيل الذي يستخدم الكلمات بسهولة.

- استمر في الكلام يا دياغو... أنا منسجمة مع ما تحاول قوله... فقله!

- عندما يكون الرجل يافعاً لا يكون في قلبه مكان للرومانسية... كل ما يحسه تجاه المرأة هو الرغبة، وما أن يكتفي يوماً كل شيء آخر وفيرونيك حطمت كل مشاعرى... ثم جئت أنت وبدأت الورود تتفتح من جديد أمامي... حتى باتت تغرقني كلما دنوت مني.

وفتح أحد الأبواب... فارسل نور المصباح الصغير قرب السرير شعاعه الأصفر، وأوقفها على البساط قرب السرير، وابتسمت له بحياة فتاة سكرت بخمرة الحب.

ورفعت نظرها إلى دياغو، وقلبتها يضج بالرغبة وأحسست بالدم

الزائد الذي يضنه يطفو إلى فوق حتى أن أحمراره ظهر في عينيها... وقالت بنعومة:
- أحبك!

وأتشعر جسلها وهو يمرر يديه ليداعبها ويشدّها إليه. معاً
يجنون واهتزاج... وكأنهما يكتشفان ماذا يعني الحب.
الحب هو شخصان لا يمكن أن يعيشَا مفترقين.
الحب هو اكتشاف أن وحشة الوحيدة انتهت.
وانهما من الآن فصاعداً سيتشاركان السعادة معاً...
كانت جدة سبييل تقول لها بحكمة:

- أحبني الرجل وسيادلك هو الحب أيضاً.
وضع دياغو يداه حول وجهها، وتنظر في عمق عينيها:
- سبييل... سبييل... أعلم أنك تحبين العمل... ولكنني
لن استطيع مشاركتك في هذا... أتعانعين يا فتاتي العجيبة؟
فهزت رأسها:

- أيام حبني للعمل ولت إلى غير رجعة... ولا أريد مشاركتك
سوى... ربما...

وارتفع لون أحمر وحشى إلى خديها وهي تردد:

- أنت تعرف ما أعني...؟

- أعلم وسنسميه على اسم القديس دومينيك. أيعجبك هذا...
- أو مستكون دوميني!

- وسيكون هناك الكثير من الفشك والفرحة في هذا
المنزل... وسيكون ذلك صدى لفضحكات حبني.

● ● ●